البكاء

باقٍ فينا ومعنا

اعداد
محمد عليان

البهاء

باقٍ فينا ومعنا

البهاء

باقٍ فينا ومعنا

نصوص

إعداد

محمد عليان

الطبعة الأولى

2019م

الرعاة للدراسات والنشر

جسور للنشر والتوزيع

البهاء باقٍ فينا ومعنا

محمد عليان

مراجعة وتدقيق لغوي : الكاتب محمود شقير

تصميم الغلاف : سيرين الاجرب

الطبعة الأولى

2019م

الرعاة للدراسات والنشر

هاتف: 0097022961613
جوال: 00970599259874
رام الله - الشارع الرئيسي

جسور ثقافية للنشر والتوزيع

هاتف: 00962795637217
بريد الكتروني: josoor2010@gmail.com
عمان - المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2018/9/4773)

ردمك : ISBN:978-9957-601-21-8

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in weiting of the writer

جميع الحقوق محفوظة. يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، لأغراض تجارية بدون إذن خطيّ من المؤلّف.

شهادة ميلاد

بين حياتين

الاسم: بهاء فلسطين

تاريخ الولادة: 25.06.1992

مكان الولادة: القدس

تاريخ الاستشهاد: 13.10.2015

مكان الاستشهاد: القدس

تاريخ الدفن: فجر 01.09.2016

مكان الدفن: القدس

فاتحة النصوص

هذا الكتاب هذا الجسد النّابض

إبراهيم جوهر

حين بدأ صديقي والد البهاء بتجميع ما كتبه الأصدقاء عن البهاء شهيدا وقائدا شبابيا وشابّا مقبلا على الفرح والحياة قلت في نفسي: هذا الرّجل الذي نذر نفسه وقلمه لمواصلة "ثقافة الحياة" إنّما يعيد تجميع روح البهاء بين دفّتي كتاب لتظلّ نابضة بين أيدي القرّاء. إنّه يعيد الحياة لقائد "ثقافة الحياة" الذي قرّر فجأة بعيدا عن توقّعات ذويه وأصدقائه ومحبّيه أن يذهب بعيدا على طريقته.

وطريقة البهاء التي أضحت ميدان جدل وتمعّن وأسئلة هي طريقته التي أثبت بها اغترابه عن عالم يأكل مبدعيه الشّباب ويحاصر طموحاتهم البانية ويكسر أحلامهم الوردية.

ولأنّ البهاء النّقيّ الشّفاف الذي حمل كتابه وأهداه لأطفال البلاد وجمعهم حول سور القدس برفقة أصدقائه ورفاقه لم يكن يوما أنانيا فقد اختار درب الفداء حتى نهايته الواثقة وكأنّه يتمثّل قوله تعالى على لسان ولد سيّدنا إبراهيم: " يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصّابرين".

لن أسأل هنا: من الذي "أمره" بفعل الذي فعل فالجواب ما زال مفتوحا على الاحتمالات والتّأويل والاجتهاد والبحث: قد يكون موقف السياسيين في بلادنا من الحياة والمستقبل والصدق والبناء، وقد يكون موقف الاحتلال من الأرض والحياة والأطفال، وقد يكون اقتداء ببطلة قصّة "سميرة عزّام" – خبز الفداء: تلك الممرضة "سعاد" التي غزلت خيطانها كنزة للمقاومين وسهرت في المشفى تمرّضهم ثم أوصلت الخبز إليهم في حصارهم لتضمّخ دماؤها أرغفة الخبز فيقتاتوا على دمها وخبزها ليواصلوا المسيرة...

اليوم بهذا الكتاب التوثيقي يعود البهاء من باب السّاهرة ومقبرة الشّهداء إلى بيوتنا ومكتباتنا ويطلّ بعينيه السّاحرتين على سهراتنا ويتابع همسنا وأحاديثنا وحزننا وموائد أفراحنا وحفلات أعياد ميلادنا. سيشاركنا أفراحنا وأحزاننا وأسئلتنا لكن بصمت كعادته دائما. لن يقول كلاما مسموعا لكنّ إطلالته وتربّعه في مكتباتنا المنزلية سيقول كلاما كثيرا، وهو كلام ليس كأيّ كلام.

هذه المساهمات بأقلام أصدقاء البهاء وأصدقاء والده حامل شعلة ثقافة الحياة وهي تعيد النّبض لجسد البهاء ومسيرته كانت متفرّقة هنا وهناك وها هي تتجمّع مثل قطرات الينبوع قبل انبجاسه بقليل.

سيتدفّق الماء ليروي العطاش وستظل رسالة البهاء معنا لتقول لنا جميعا: الحياة تستحق العيش حين تكون الحرية عنوانها.

_____ القدس في 9 / 8 / 2018

الوصايا العشر

الشهيد بهاء عليان

1. أوصي الفصائل بعدم تبني استشهادي فموتي كان للوطن وليس لكم.

2. لا أريد بوسترات ولا بلايز فلن يكون ذكراي في بوستر معلق على الجدران فقط.

3. أوصيكم بأمي لا ترهقوها بأسئلتكم الهدف منها استعطاف مشاعر المشاهدين وليس أكثر.

4. لا تزرعوا الحقد في قلب ابني، أتركوه يكتشف وطنه ويموت من أجل وطنه وليس من أجل الانتقام لموتي.

5. إن أرادوا هدم بيتي فليهدموه، فالحجر لن يكون أغلى من روح خلقها ربي.

6. لا تحزنوا على استشهادي، احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي.

7. لا تبحثوا على ما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عن ما وراء استشهادي.

8. لا تهتفوا بمسيرة جنازتي وتتدافعوا، بل كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة وليس أكثر.

9. لا تجعلوا مني رقما من الأرقام، تعدوه اليوم وتنسوه غداً.

10. أراكم في الجنة.

قراءات في الوصية

،،، هو اختار جدول أعماله لوحده، لم يتدخل بها أحد أو يُملي عليه أي شيئ، هو القائد والقائد هو، ليس لاحد عليه أثر أو تأثير، ووفاء (للوصايا العشر)هذه خيمتي وهذه جُعبتي فليفتشوا جُعبتي...وليقتلعوا خيمتي....،،

كيف ثقّف بهاء بوصيته

ابراهيم جوهر

(1)

في خيمة الشهيد: ثقافة جديدة من وحي الوصية وتنفيذها

إنه الامتحان الصعب: أن تكون كما يجب أن تكون، أو أن تكون كما كانوا...

تتسابق وسائل الإعلام المصوّرة والمسموعة والمقروءة لـ(تصطاد) سبقها الصحفي في حوارها الأول، ومعلومتها (السبق الصحفي)- قالوا في الأمثال: " ناس في عزاه، وناس في هناه"- أو قل: في عمله وسبقه المنتزع من آلام الصدمة والفقد والحسرة والدموع..... لا يهم هذا كله! المهم أن تجيبني عن أسئلتي لأعود إلى محطتي ومجلتي وإذاعتي منتشيا بتحقيق سبق صحفي!

هنا تتبلّد المشاعر- هنا يحتاج المراسلون أطباء نفسيين وجرعات زائدة من (دم الإنسانية!(

في خيمة الشهيد بهاء فلسطين كان والد الشهيد المجرّب الصابر غير مأخوذ بالموقف.

هادئا بصمت عجيب.

واثقا بإيمان عجيب.

ممسكا بخيوط الموقف المتشعبة.

لم يطلب شيئا ولم يبالغ في التعبير عن أي شيء: لا عن موقف عاطفي أو وطني.

لم يزاود ولم (يطخطخ) في التصريحات والأحاديث.

حين توجّهت إليه حائرا كسيف البال حزينا، بادرني من بعد قريب قائلا بثقة:

بدون كلام.... فأراحني حقا وهو يفهم أن كلامي سيجلب الدمع والحشرجة ولن يكون كلاما بقدر ما سيكون حزنا وحيرة وهروبا للكلمات التي عادة ما تهرب وتستعصي في مثل هذه المواقف الصعبة.

والد الشهيد (أبو خليل) الرجل الصلب المؤمن بصلابة موقفه وثقافته أراد تنفيذ الوصية وصية الشهيد ذات البنود العشرة، وقد بادر بالتنفيذ فور تأكّده من استشهاد بهاء فلسطين:

لم يبك.

لم يرتبك.

لم يظهر ضعفا ولا خورا بل ظل متماسكا صلبا يفسّر بنود الوصية: لا تحزنوا على استشهادي....

مراسلو وسائل الإعلام عادوا خائبين من (صيدهم) المفترض. لم يحظوا بأي تصريح ولا (طخطخة) كلامية. قال لهم: هذه وصية الشهيد وأنا ملتزم بها.

في الخيمة التي تواصلت سبعة أيام بعد أن كان مقررا لها أن تغلق بعد أربعة أيام إلى حين رجوع الجثمان استمرت الخيمة ثلاثة أيام إضافية

لتصير خيمة الطفل الشهيد: معتز عويسات، ابن عمّ الشهيد بهاء. في الخيمة لم توضع مكبّرات الصوت ولم ينظّم برنامج خطابي.

كل شيء سار بهدوء وأسئلة وتفكّر: ماذا أراد الشهيد بهاء أن يقول في الوصية- الدرس؟

هل يمكن أن نوجد ثقافة جديدة لخيمة الشهيد؟

لم تتح الفرصة لعشّاق الكلام ليقولوا ويصولوا في الخيمة.

لم يكن من حديث سوى عن الشهيد ووصيته وثقافة جديدة تسود المكان والناس.

لا أعلام فصائل في الخيمة، ولا كلمات تزاود وتشتري دم الشهيد... وحده علم الكل الفلسطيني كان قبل أن يزال بفعل فاعل وصلته الرسالة قبل أن تصل إلى عناوينها المحلية المعنية.

في خيمة الشهيد (بهاء فلسطين) علا الوطن والقيمة فوق كل ذي أنانية وفصائلية.

في الخيمة سادت ثقافة غابت من قبل.

إنه البهاء الذي أرشدنا وعلّمنا وما زال...

كيف ثقّف (بهاء) بوصيته؟

ابراهيم جوهر

(2)

(لا) الناهية وضمير المخاطب في وصية بهاء:

في وصيته الشهيرة ذات البنود العشر وضع الشهيد (بهاء فلسطين) المحللين والدارسين المهتمين أمام تساؤلات باردة الهدف منها الوقوف على دافع الاستشهاد المباشر.

لم يكن (بهاء فلسطين) الذاهب إلى اختياره الواعي وقراره المدروس قد كتب وصيته عبثا. بل خطّ بعمله ذاك وصيته الحادية عشرة التي لم تحملها الكلمات بل الفعل.

سأقف عند تكرار الشهيد في وصيته لحرف النهي والزجر (لا) الذي تكرر ست مرات.

ويفيد هذا الحرف الردع والمنع والتقريع والتأنيب:

-لا ترهقوها بأسئلتكم.

-لا تزرعوا الحقد.

-لا تحزنوا على استشهادي.

-لا تبحثوا عن ما كتبته.

-لا تهتفوا في مسيرة جنازتي.

-لا تجعلوا مني رقما من الأرقام.

أما (لا) النافية التي تحمل الطلب والتوضيح والنفي فقد تكررت مرتين:

-لا أريد بوسترات.

-ولا بلايز.

وتكرر الفعل الماضي الناقص (ليس) وهو يحمل دلالة النفي والتوضيح أربع مرات:

...-موتي كان للوطن وليس لكم.

...-الهدف منها (الأسئلة) استعطاف مشاعر المشاهدين وليس أكثر.

...-اتركوه يكتشف وطنه ويموت من أجل وطنه وليس من أجل الانتقام لموتي.

...-كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة وليس أكثر.

أما الفعل المضارع فقد تكرر ثماني عشرة مرة، ودلالة المضارع في اللغة تؤكد الحال والمستقبل والاستمرارية.

وتكرر فعل الأمر بصيغتيه: المباشرة والفعل المضارع المسبوق بلا الناهية إحدى عشرة مرة.

وإذا توقفت عند أسلوب الشرط (إن أرادوا هدم بيتي فليهدموه) والتعليل اللاحق (فالحجر لن يكون أغلى من روح خلقها ربي) وحاولت تحليل العاطفة الكامنة وراء هذا التعبير الواضح الواثق فإنني أجد صدقا

وتحديا وإيمانا بالعمل وتوجيها تثقيفيا لمن بعده بالمقارنة بين الحجر والروح التي خلقها الله.

واختصارا، أقول:

حمل البند الأول من وصية بهاء فلسطين لوما خفيا قاسيا للفصائل التي اعتادت أن تتسابق على (الغنائم) وهي لا تدري أنها لا تدري.

والبند الأول من الوصية يثقّف الفصائل المعنية ويذكّرها بأن " موتي كان للوطن وليس لكم."

ويمكن إيجاد علاقة من نوع ما بين هذا البند والبند الثامن "... بل كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة وليس أكثر" فالمطلوب هنا هو: الطهارة المعنوية- طهارة القلوب والنوايا وصدق العمل الذي يعني طهارة أيضا.

وقد لفت نظري تعبير الشهيد في وصيته بلفظ (موتي) تارة و(استشهادي) تارة أخرى وكأنه يمزج بين التعبيرين الديني والاصطلاحي .

لقد واجه الشهيد بهاء المرسل إليهم من بيننا في وصيته مباشرة بضمير المخاطب إحدى عشرة مرة.

(...هل يحقّ لي إيجاد علاقة من نوع ما لمثل هذه الأرقام بمثيلاتها في التاريخ والقصص الديني والتاريخي...؟)

..... وللتحليل بقية.

كيف ثقّف (بهاء) بوصيته؟

ابراهيم جوهر

(3)

تحمل الكلمات دلالات لفظها القريبة وتخفي ما بين أحرفها وما وراء تآلفها معاني أخرى يمكن الوقوف عليها عند كل تحليل لأي نصّ أدبي.

وفي (وصية الشهيد) التي خطّها (بهاء فلسطين) تكمن معان تحمل وجعا وشكوى وانتقادا. فها هو يفتتح وصيته في بندها الأول بتقريع خفي للفصائل ذات النزعة الأنانية وهي تتسابق لتتبنى الشهيد. إنه يعلي من قيمة العمل الصادق فينسبه إلى عنوان أكبر واشمل وأبقى: إنه الوطن.وإنكم لستم الوطن: أنتم صغار والوطن كبير "... فموتي كان للوطن وليس لكم."

ما الذي دفع (بهاء) ليخطّ هذا الوعي في البند الأول لولا اطلاعه على ما يجري وغضبه مما يجري؟!

وفي البند الثاني من الوصية- الدرس يوضّح غايته ودافعه وينتقد البهرجة الاحتفالية. باختصار بليغ يقرر:"لا أريد بوسترات ولا بلايز..." فالشهيد يهمه أن تصل رسالته لا أن يتحلّق المنتظرون ليقطفوا نصيبهم من الغنيمة. وهو يمضي في دربه ليس حبّا في التخليد الشكلي (بوسترات وبلايز) بل –

كما جاء في البند التاسع –"لا تجعلوا مني رقما من الأرقام" وفي البند السادس: "... احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي."

فماذا يريد إذا؟

"لن تكون ذكراي في بوستر معلّق على الجدران فقط". و(فقط) هنا لها أهميتها لأنها لا تنفي قيمة البوستر لكنها لا تعوّل كثير قيمة عليه. ولعل البند الثامن يوضّح المقصود الخفي حين يقول فيه: " كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة" والبند التاسع: " لا تجعلوا مني رقما من الأرقام، تعدّوه اليوم وتنسوه غدا."

إنه يكرر المعنى بصيغ مختلفة ليؤكد عليه: استخلصوا العبر من استشهادي، فقد أردت لكم الاستقامة في العمل والصدق في المسعى والاهتمام بالإنسان بعيدا عن "المكاسب" الفصائلية الضيقة.

هذا درس تثقيفي يكتبه (بهاء) بقلمه ودمه وروحه.

وللإعلام المحلّي بالتحديد قسط من انتقاد (بهاء) وتعليمه كما جاء في البند الثالث من الوصية. وهنا ليس المتابع بحاجة للأمثلة التي تدل على غباء بعض الأسئلة وسائليها وتمثيل دور المحايد البعيد وهو يطرح أسئلة لا تحترم مشاعر الوالدين.(بعض إعلاميات الصدفة أو الواسطة سألت والد الشهيد: شو شعورك وأنت تتلقى نبأ استشهاد ابنك؟)

في البند الرابع تظهر إنسانية بهاء الإنسان المثقف الحقيقي، فهو لا يريد لابنه (الجيل اللاحق) أن يتربى على الحقد، فالحقد ضيق أفق وضعف وخسّة لا تليق بالشريف ذي القيم النبيلة الشاملة. ولكن: كيف له أن

يعرف؟ يأتي الجواب التربوي الحكيم في الوصية: "...اتركوه يكتشف وطنه ويموت من أجل وطنه وليس من أجل الانتقام لموتي."

أي انسجام ووعي ومسؤولية هذه التي حرّكت (بهاء) وهو يكتب بهذه المسؤولية الواعية؟ وأي دروس يوصلها النص الذي كتب بعناية ووعي؟

وفي البند الخامس يوازن بين الحجر والروح، والنتيجة واضحة في كونها تنحاز للروح الأغلى من الحجر. لكنه يخفف من عبء النتيجة المتوقعة بهذه المقارنة. الحجر ليس أثمن من الروح- الإنسان.

وفي البند السادس يواصل انسجامه النفسي والمعرفي بصدق خطابه ووصيته إذ يطلب ألا تحزنوا على استشهادي بل "احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي". والطلب هنا بالحزن على ما ستحمله الحياة من ذل وإهانة وتنغيص، وكأنه يريد أن يكمل هذا البند بقوله: "... إذا لم تتعظوا من استشهادي ولم تغيّروا مما أنتم عليه."

البند السابع يحمل بعدا بيانيا في صياغته: " لا تبحثوا عن ما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عمّا وراء استشهادي". ما كتبه بالمعنى الحرفي للفظ هنا يعني الماضي، وما وراء الاستشهاد يشير إلى الدافع والرسالة. وهذان هما ما حملتهما هذه الوصية الشاملة.

في البند التاسع ينطق (بهاء) باسم الشهداء جميعهم: " لا تجعلوا مني رقما من الأرقام". الشهيد لم يكن يوما رقما، مجرد رقم وإن حوّلته سياسة الأنانية والتجارة والإفلاس السياسي إلى رقم. الشهيد إنسان له أحلام

وماض ومستقبل، وهب حياته – أثمن ما يملك ليعيش غيره وهو يحقق قيمة الإيثار التي اغتالتها الأنانية الرخيصة.

البند العاشر يجب التوقف عنده مليّا متسائلين باحثين عن سرّ الإيجاز.

"أراكم في الجنة ."

هكذا بلا تمهيد لأن التمهيد سبق في البنود التسعة التي سبقته. وبلا تعقيب لأن الجنة فضاء رحب لا يحدّ: إن شرط رؤيتكم في الجنة يتحقق بتنفيذ الشروط- البنود التسعة التي سبقت هذا التأكيد الذي جاء على شكل بشرى.

أوصي الذين عبروا الى الجنة بعدم تذكرنا

الكاتب: نبيل الجولاني /القدس

عندما هرعت مع صديقنا الى موطن الشهيد أحسستُ بأن الطريق طويلة... وبعيدة...،مع أنني سلكتُ هذا الطريق مرات ومرات، انتابني هذا الشعور وكان واضحاً لي أن الشهيد قد نال الحرية...ودفع بها الى الامام،وقد قَصّرَ طريق ومدة التحرير ومداه،حيث أنه أعلن بإبداعه هذا عن قيام دولته بين رصاصتين وورده...،وانتابني هذا الشعور لانه كان واضحاً لي بأن الشهيد بإبداعه هذا قد لَخَصَ عَجز القيادات ومهانتها وغيابها وتقاعسها عن القيام بالدور الذي ينبغي عليها أن تديره وتخوص فيه ،وانتابني هذا الشعور وكان واضحاً لي بأن الشهيد بإبداعه هذا انما اختصر وأرسل جسده وروحه ودمه رسالة لمجموع عموم أبناء وطنه بأن ما أبدعه لا يُعبر عن فردية بقدر ما يُعبر عن مسؤولية وبقدر ما هو شَحذ لهِمم الجميع وللعموم حتى يَحذوا حذوه حتى يُصبح الاحتلال لائقاً بنا.

قال الروائي وكان عارفا مُجرباً خبيراً واعياً واضحاً واثقاً رزيناً رصيناً قوياً فَتياً نقياً رشيداً ثابتاً صامداً صلباً حصيناً حازماً حاسماً من أجل تشييد فكرة جديدة وثقافة متطورة بانه لن يسمح أو يُعطي فرصة لأي كائن من كان أن يُساومه على الجثمان أو يَبتزه أو ينزع منه أو يبتذله،حيث أن مثوى الجثمان لا ينبغي بالضرورة أن يكون مكان مسقط رأسه بين عشيرته،اذ أن مثواه على ثُراه على ثُرى حدوده وحدوده ووجوده

وحضوره الواسع لانه لم يَمُت ميتة عادية أو توفاه الله أو بحادث سير بل اشتبك من أجل الغير من أجل كل أبناء وطنه فلا ضَير أن يواري جثمانه في أي رُكن من أركان وطنه الشاسع.

لانه الساطع الشاهق الشامخ العميق القوي الصاعق المدوي الشامل العّلي البهي المُشتبك المدهش المذهل،اذ انه عندما انتشرت روحه لم تنتشر على عتبات بلدته بل على جميع روابي وقمم جبال ومنارات بلاده فعندما تدفقت دماؤه جرت كمياه النهر التي لا تتكرر والنهر عادةً يسير في مجراه مُنشئاً روافد جديدة مُتفرعة يبدأ من منبعه الى مصبه الذي يَصب عادةً في البحر...حيث أن مسقط رأسه حيث مسقط قلبه...،وزع دماءه وبهاءه داعياً الغيآب الى الحضور...ليس للاحتفاء بجثمانه بل لحماية ثراه وبهاه وحراسة الفكرة والحلم من الضياع.

وقال الروائي مُستطرداً لا أريد أَعلاماً أو إعلاماً البتة، لا أريد كما هو في معظم الحالات من ما هو نمطي، مألوف، سائد، جامد مُتكرر....،فهاؤنا لا يُشبهه أحد فهو الغني، المنسجم، الشهير. طوق أهله وصحبه بشغاف قلبه، وطوق أسوار القدس بفقه الثقافة ومقامه العّلي ومعناه الهائل، فطوق بلاده عندما احتشد بهاه في باكر الصباح، ولم تدري أُمه أنه قد أومى بها في (وصاياه العشر)قبل أن يُربك كل البرامج والخطط والمشاريع والمسارات،فغدى الكل باتجاهه، وحده حَدد البرامج في ذلك اليوم وفي هذا التاريخ، وفرض على الاقلام والإعلام بماذا تبتدئ،هو كتب وأذاع نشرة الاخبار كما أراد هو على الملأ.

وأضاف الراوي هو اختار جدول أعماله لوحده، لم يتدخل بها أحد أو يُملي عليه أي شيئ، هو القائد والقائد هو، ليس لاحد عليه أثر أو تأثير، ووفاء (للوصايا العشر)هذه خيمتي وهذه جُعبتي فليفتشوا جُعبتي...وليقتلعوا خيمتي...

ملاحظة: لمن يسأل ذوي الشهيد عن كيف كان شعورهم بعد الاستشهاد

برغم صفاقة السؤال وضعف موقف السائلين؟!!!

أجاب الراوي من باب فصل المقال:

1- في لحظة الاستشهاد انها النفس الانسانية بكل ما تزخر به من أحلام وآمال وأشواق وذكريات وتساؤلات ومعارف تتدفق كلها دفعة واحدة بشكل كثيف فيغدو الشهيد وكأنه كل البشر....ولحظة الاستشهاد كأنها كل التاريخ...والمكان هو كل الكون....

2- انه يُوقفك في محور ترى منه ما حولك.. يَبتكر صوراً جديدة للنزيف المستمر...للتفاؤل المستمر....للآمال والاحلام والاستقلال والحرية والنصر...

3- انه التدفق الفكري الذهني العاطفي المبدئي العذب (العَصّف الفكري /العصف الروحي) الذي يُعبر عن أفكار وأحداث تتراكب وتتراكم وتتفاعل وتتواصل بتسلسل تشُع بمعاني ودلالات الانتماء.

4- انه أَخلصَ الى شَخصُه... وأَعَدَ ما استطاع وإعتدَّ بنفسه...واستجاب لضميره، بعدما أن شعر بأن آبائه قد خدعوه بما

صوروا له من أحلام لم تتحقق فشعر بانه العاشق المخدوع....فأوغَل بدوره نيابةَ عنهم، وعن أُولي القيادة...وعن سابق الاجيال ومجايليه....متحدياً بقُدراته وعظمه ودمه وروحه وانتماؤه حتى يظل سيداً حراً بهياً،إنها فلسفة جمال المقاومة والانتماء.

5- أما وصاياه العشر ففي رأيي أن لا أحد يُحللها أو يُفسرها أو يُفلسفها الا من خَشيَ ربه

أولا: خوفاً من أن تُشوه أو تُقَزَم أو تُسطح أو تُسَوق من قِبل السماسرة وتُجار المرحلة.

ثانياً: لانه سيستعصي على القاعدين...فهم بيت القصيد فيها وبالتالي ستفقد معانيها ودلالاتها وسحرها وهيبتها وبهائها.

ثالثاً: خوفاً من أن تُعلق على الجدران من قِبل المتحذلقين والذين تَخلوا عن مشروعهم القومي...أو يتلاعبوا بها على (الحبلين)أو أن تُحفظ في القلوب السقيمة.

رابعاً:لانها لم تُكتَب للاحياء الاموات....

لا تجعلوا مني رقما

قراءة في وصايا الشهيد بهاء فلسطين

حمد خليل عليان

في الثاني عشر من شهر كانون الأول عام 2014 نشر الشهيد بهاء عليان (بهاء فلسطين) وصاياه العشر على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، والمتأمل لتلك الوصايا وموعد نشرها، يلاحظ أنّها نشرت بعد أقل من شهر واحد على استشهاد رفيقيه غسان وعدي أبو جمل، إذ عاصر الشهيد لحظات الاستشهاد، وحجز الجثامين، وشارك بنفسه في حفر القبور، وكان أحد المشيعين، وأحد الأشخاص الذين قاموا بدفنهما في قبريهما، سمع بهاء ما تناقلته وسائل الإعلام عنهما، واستنكر تبني الفصائل السياسية لهما مؤكدا على أن الشهيد أكبر من تلك الفصائل، الشهيد هو بحجم الوطن، الفصائل صغيرة والوطن كبير، استهجن وسائل الإعلام التي كانت تتسابق لنقل الخبر، والظفر بالسبق الصحفي، واستهجن أسئلة رجال الإعلام الموجهة لأمهات الشهداء: كيف شعرت عندما تلقيت نبأ الاستشهاد؟، ما هي آخر كلماته؟، وغيرها من الأسئلة الموجعة التي ترهقهن وتزيد الطين بلة، استغرب من تبني الفصائل السياسية للشهيدين بعد أقل من دقائق على استشهادهما، وراقب نظرة المجتمع واتجاهاته نحو الشهادة والاستشهاد، فلم يقف موقف المتفرج،

بل عبّر عن ألمه بمنشوراته عبر صفحته، ومن خلال نقاشاته وصرخاته قام بكتابة الوصايا العشر، هي وصايا كلّ شهيد، هكذا كتب عنوان وصاياه: " **الوصايا العشر لأيّ شهيد** "، هو يمثل بوصاياه الشهداء كافة، سواء الذين سبقوه أو الذين يلحقون به.

سأتناول في هذه المقالة وصايا الشهيد بهاء فلسطين وعرضها وقراءتها باختصار:

الوصية الأولى: أوصي الفصائل بعدم تبني استشهادي، فموتي كان للوطن وليس لكم.

ما أروعك يا بهاء فلسطين؟، ما أروعك؟ هذه العبارة تدل على نضجك الفكري ورؤيتك الشمولية، أنت تنتمي إلى هذا الوطن الكبير، الوطن الذي يعتبر أكبر من تنظيماته وفصائله، الوطن أكبر من أجزائه، الوطن كبير والتنظيمات صغيرة. صدقت يا عزيزي، فبمجرد أن يعلن عن استشهاد شاب سرعان ما تتهافت التنظيمات السياسية والفصائل على تبنّيه، وتسارع بإصدار بيانا بأن هذا الشهيد كان فاعلا وناشطا في صفوف تنظيمهم، ومن الطرافة أن نشير إلى أنّ هناك أكثر من تنظيم أو فصيل سياسي يتبنون الشهيد في نفس الوقت بدون أن تدرك (وربما تدرك) مخاطر وأبعاد هذا الإعلان، ربما لا تدرك هذه الفصائل والتنظيمات السياسية أن الفراغ وعدم قيام هذه التنظيمات بأدوارها هو الذي دفع الشباب للقيام بهذا الدور بمبادرتهم وبدون استئذان أحد. والأمر المثير هنا أنّ الفصائل تتبنى الشهيد حال تنفيذه العملية، وأحيانا قبل الإعلان عن

نبأ استشهاده، وتتخلى هذه الفصائل عن دورها في المطالبة بتحرير جثمانه، أو مساندة أهله والوقوف بجانبها، ودعمها لهم في مواجهة هذه الأزمة، فيبقى ذوو الشهداء وحدهم في الميدان يقارعون الاحتلال مطالبين بحقهم باستعادة جثمان ابنهم وحقه في الدفن تحت ثرى الوطن.

يطالب الشهيد بهاء فلسطين الفصائل بكل قوة بعدم الإسراع بتبني الشهيد، إيمانا منه بأنّ الشهيد هو شهيد الوطن، ضحى بحياته من أجل الوطن، لا من أجل فصيل.

الوصية الثانية: لا أريد بوسترات ولا بلايز فلن تكون ذكراي في بوستر معلق على الجدران فقط.

الشهيد يسعى لنيل رضوان الله والظفر بالجنة، وهذا حلم الشهيد بهاء وقد عبر عنه بوصيته الأخيرة " نراكم في الجنة "، هو ينهانا عن التمسك بالمظاهر التي تهدف إلى إظهار الذات، وينهانا عن الرياء ويطالبنا بعدم نشر صوره على الجدران والبلايز والبوسترات إيمانا منه بأن هذه الممارسات لن تخلّد ذكراه، إن ماضيه وأنشطته الاجتماعية والثقافية وإسهاماته الحيوية للمجتمع والوطن هي الوحيدة الكفيلة بتخليد ذكراه، يعّلمنا الشهيد في هذه الوصية التواضع، والإخلاص في العمل، وأنّ العمل الصادق هو الذي يرضي الله سبحانه وتعالى.

الوصية الثالثة: أوصيكم بأمي، لا ترهقوها بأسئلة الهدف منها استعطاف مشاعر المشاهدين ليس أكثر.

صدقت يا بهاء فلسطين، إنّ الإعلام يلعب دورا هاما في رفع معنويات الأهالي، وهو في الوقت نفسه يساهم في تدميرها، فمن المعلوم أنّ الإعلام يقتحم بيوت الشهداء بعد لحظات وجيزة من حدوث الحدث، وربما قبل أن تسمع العائلة الخبر، فيركز الإعلام في أسئلته على قضايا تتعلق بالمشاعر، كيف شعرت الأم بعد تلقيها نبأ الاستشهاد؟، ما هي آخر كلماته؟، ماذا فعل قبل الاستشهاد؟ هل توقعت الأم بوقوع الحادث؟، ما هي عاداته وسلوكه المألوف؟ وغيرها من الأسئلة التي تؤجّج مشاعر الأم، خصوصا ونحن نعلم أنّ اللحظات الأولى للفقدان يعتبر من أشد المراحل قسوة على الأهل، فالمرحلة الأولى من مراحل الفقدان هو الإنكار، في هذه المرحلة ينكر الفاقد الحدث، وتكرّر الأمّ عبارات أنّ ابني لم يستشهد، هو ما زال حي يرزق، خرج إلى عمله وسيعود قريبا، وغيرها من العبارات المؤلمة التي تعبر عن رفضها لنبأ الاستشهاد وأنّ ابنها ما زال على قيد الحياة، وما هي الا لحظات وسيعود إلى البيت...، هذه الأسئلة وهذه القضايا التي تشغل وسائل الاعلام تزيد من حدة الصدمة وتعظم الأزمة التي يعاني منها الأهل، وتؤجج مشاعرهم، ممّا يجعل الشهيد بهاء فلسطين ينادي بأعلى صوته مخاطبا الاعلام بقوله: كفى! كفوا عن اللعب بمشاعر الأمهات، لا ترهقوا الأمهات بأسئلتكم، التي يكون الهدف منها استعطاف مشاعر الناس، ماذا سيجني الإعلام من تلك الأسئلة؟ أجّلوا دخولكم إلى العائلة

إلى أن تستوعب العائلة الحدث!، إن ما يحصل بالعادة هو أنّ الصحافة مجرد أن سمعت بالنبأ، فإنّها تتوجه مباشرة إلى العائلة وتقوم بإعداد تقرير عن الشهيد وعائلته، كذلك الحال بالنسبة للمراكز الاجتماعية، التي سرعان ما تتوجه منذ اليوم الأول لاستشهاده إلى العائلة لتقدم لها المساعدة من خلال التدخل المهني للاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين العاملين فيها، وهذا أمر حسن، ولكن لماذا يستعجلون في التدخل؟ طالما أنّ العائلة في مرحلة الصدمة والإنكار وهي لا تبالي في هذه المرحلة بتدخل أحد، هي بحاجة إلى التدخل المهني ومساعدة الاختصاصيين في مراحل قادمة، عندما تشعر العائلة أنّها وحدها في الميدان وأنّها بحاجة إلى الدعم النفسي، خصوصا في ظل غياب الداعمين والمساندين، العائلة بحاجة إلى مساندة المؤسسات والمراكز الاجتماعية والحقوقية، بحاجة إلى مساعدة الجماهير والمجتمع في كلّ ما يتعلق بالجثمان والضغط الجماهيري والشعبي للمطالبة بإعادته، وهذا للأسف الشديد لم يتحقق، الحشود الجماهيرية والوفود الشعبية تتدفق في اليوم الأول وربما في اليوم الثاني والثالث، وربما تتدفق إلى حين إخلاء الخيمة، وماذا بعد؟ أليست العائلة بحاجة إلى هذه الوفود في الأيام اللاحقة، أليست بحاجة إلى دعم المراكز العلاجية؟، أليست بحاجة إلى وسائل الإعلام لإيصال صوتها ومعاناتها؟

لقد قرأ الشهيد بهاء فلسطين الواقع بصورة واضحة، ورأى من خلال تفاعله الاجتماعي وملاحظته للواقع أنّ تدخل وسائل الاعلام قد

يكون له أبعاد سلبية وبذلك فهو يوصي وسائل الإعلام بعدم إرهاق الأمهات بأسئلة تؤجج المشاعر.

الوصية الرابعة: لا تزرعوا الحقد في قلب ابني، اتركوه يكتشف وطنه، ويموت من أجل وطنه، وليس من أجل الانتقام لموتي:

هذه هي أخلاق الشهيد، يطالبنا بعدم زرع الحقد والكراهية في قلوب أطفالنا، وعدم تحريضهم وزرع الأفكار العدائية في نفوسهم، هكذا تفعل الحركات الصهيونية، تجند الأسرة، والمجتمع، والمدرسة، والمناهج، والمشاريع المختلفة من أجل تغذية الكراهية والعدائية في نفوس أطفالهم، وتنشئهم على كراهية العرب والفلسطينيين، فيكبر الطفل اليهودي ويكبر معه العداء نحو الفلسطينيين دون أن يعرف عنهم شيئا.

إن التنشئة الاجتماعية تعتبر من أهم العوامل التي تؤثر على تشكيل الاتجاهات، فالأسرة، والمدرسة، والبيئة الاجتماعية تؤثر بشكل فعال على اتجاهات الأطفال، لذلك يطالبنا الشهيد بهاء فلسطين صاحب الأخلاق العالية بتحييد الأطفال وعدم زجّهم في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، غدا سيكبرون، ويكتشفون حقيقة الاحتلال بأنفسهم، ويتذوقون مرارته وسيعانون من ممارساته.

الوصية الخامسة: إن أرادوا هدم بيتي فليهدموه، فالحجر لن يكون أغلى من روح خلقها ربّي

هدم بيت الشهيد هو أهم وأخطر الإجراءات التي يتخذها الاحتلال من أجل ردع الأهالي، فمجرد الإعلان عن نبأ استشهاد الشاب، تقوم سلطات الاحتلال من خلال رجال الشرطة والقوات الخاصة باقتحام منزل الشهيد وتفتيشه، والعبث بمحتوياته بطريقة وحشية، ترعب الأطفال والنساء، فيصادرون بعض المحتويات، ويتلفون بعضا منها، ويأخذون مقاسات البيت تمهيدا لهدمه، وما أن يمضي بضع أيام حتى تقدم سلطات الاحتلال على هدمه بزعم أنّ هذا الإجراء ضروري لردع الشباب عن تنفيذ عمليات استشهادية. في الحقيقة إنّ هدم البيت لا يشكل عامل ردع للآخرين، فالشهيد علاء أبو جمل كان حاضرا حينما هدمت بيوت أبناء عمه الشهيدين غسان وعدي أبو جمل، وشاهد عملية الهدم بنفسه، وما أن مضى بضع أيام حتى قام العلاء بنفسه بتنفيذ عملية طعن ودهس ما أدى إلى استشهاده.

إنّ هدم البيت يعتبر أحد أشكال الفقدان الذي يواجهه ذوو الشهداء، فالبيت لا يشكل مأوى يأوي إليه الناس وحسب، وإنّما هو يعتبر التاريخ بالنسبة للأسرة بما يحمله من ذكريات. إن هدم البيت يعتبر أزمة صادمة ثانية بالنسبة لذوي الشهيد، لذلك جاء الشهيد بهاء فلسطين بوصيته مطالبا عدم الشعور بالحزن والأسى على هدم البيوت، لأن الشهيد هو الأغلى دائما، وإذا خسرت العائلة ابنها فلذة كبدها فلن تأبه

للبيت ولو هدم، وفي هذه الوصية يحاول الشهيد بهاء فلسطين أن يرفع من معنويات الأهالي مؤكدا أن البيت مجرد حجر فإن أرادوا هدمه فلا ضير، فليس الحجر أغلى من الروح التي خلقها ربّها.

الوصية السادسة: لا تحزنوا على استشهادي، احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي

صدقت يا بهاء فلسطين، علينا أن لا نحزن على استشهادك، فأنت انتقلت إلى عالم آخر، نسأل الله أن يرضيك ويزيدك من نعيمه وتكون الجنة هي دارك، ولكن لا بد وأن نحزن على ما أصابنا من بعدك، من انقسام وفرقة، واقتتال داخلي، وصراعات ونزاعات بين الناس، فكم من بريء قتل من بعدك في شجارات عائلية؟، وكم من مصيبة حلت بنا بعد استشهادك؟ نحن لا نحزن عليك يا بهاء فلسطين؛ لأنّنا على يقين أن عالمك خير من عالمنا، نحن لا نحزن عليك ؛ لأننا على يقين أنّك تهنأ بالنعم التي أعدّها الله سبحانه وتعالى للشهداء، ولكنّك حتما أنت الذي تحزن على أحوالنا وأوضاعنا.

الوصية السابعة: لا تبحثوا على ما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عن ما وراء استشهادي.

لا يا بهاء فلسطين، سنبحث عما كتبته قبل استشهادك، فقد كتبت عن الوطن، عن التكافل الاجتماعي، عن الفساد. لم تترك قضية إلا وتناولتها بالتحليل والنقد الساخر، سنبحث عن أنشطتك الاجتماعية والثقافية، سنبحث عن السلسلة القارئة الأولى على صعيد العالم العربي،

ولست أدري قد تكون ألأولى على الصعيد الدولي، سنبحث عن المكتبات التي أنشأتها، سنبحث عن مبادراتك، سنبحث عن حملات التكافل الاجتماعي التي قمت بتجنيدها، سنبحث عن الأطفال الذين زرعت على وجوههم البسمة، سنبحث عن ابتسامتك، سنبحث عن كلّ شيء قمت به، ولكّننا لن نبحث عما وراء استشهادك، فلن نجد شيئا سوى الفرقة والاقتتال، والنزاعات والشجارات والانقسامات، والخلافات وغيرها..

الوصية الثامنة: لا تهتفوا بمسيرة جنازتي وتتدافعوا، بل كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة وليس أكثر.

يطالبنا الشهيد بأن تكون جنازته حين استشهاده هادئة، خالية من الهتافات وإطلاق الشعارات، لا يريد هتافات ولا شعارات ولا رفع أعلام، يريد من المشيعين أن يكونوا على طهارة، متوضئين أثناء الصلاة عليه وليس أكثر. بعد أقل من عام على نشره لهذه الوصايا استشهد بهاء فلسطين، وبعد عشر شهور من استشهاده تمّ الإفراج عن جثمانه، وفي ليلة الحادي والثلاثين من شهر آب لعام 2016 تمّ دفن الشهيد في مقبرة الشهداء في شارع صلاح الدين، لم يتدافع المشيعون يا بهاء فلسطين ولم يهتفوا بمسيرة جنازتك سوى التكبير، كانوا أهلك وأحباءك، كانوا جميعا على وضوء، صلّوا عليك صلاة الجنازة، واستمعت السماء إلى أدعية أمّك وهي تناجي ربّها بأن يكرمك ويغفر لك، ويسكنك الجنات العلا، ويحشرك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقا. ودفنوك بجوار رفاقك الذين سبقوك في الشهادة والدفن، فاستقبلتكم الأرض بدفئها.

التزم المشيعون بوصيتك بكلّ دقة، وكأنك كنت تعلم أن ما كتبته من وصايا قبل سنتين ستكون أنت من نال شرف تنفيذها، كنّا عشرين مشيعا، تمنينا لو كنا ألفين أو عشرات الألوف، لأنك تستحق شرف هذا الحشد الهائل، ولكن منعونا من تحقيق هذا الحلم واشترطوا تقليص عدد المشيعين إلى عشرين فقط. أنت محقّ يا بهاء، فالجنازة الهادئة الخالية من الشعارات والهتافات تدخل السكينة والطمأنينة في نفوس المشيعين.

الوصية التاسعة: لا تجعلوا مني رقما من الأرقام، تعدّوه اليوم وتنسوه غدا.

يحذرنا الشهيد بهاء فلسطين من التعامل مع الشهداء كأرقام، نذكرهم ونتحدث عنهم لحظة استشهادهم وسرعان ما ننساهم، ولا نذكرهم على الإطلاق، يطالبنا الشهيد بهاء فلسطين بأن نتعامل مع الشهداء كقضية وكرأي عام تهمّ كلّ الوطن بأطيافه كافة، صدقت يا بهاء فلسطين، لقد تعاملت المؤسسات والجماهير والإعلام مع الشهداء على أنّهم أرقام، لقد تم احتجاز جثمانك أحد عشر شهرا، ماذا فعلت الجماهير من أجل تحرير جثمانك من ثلاجات الاحتلال؟، اليوم أكثر من عشرة شهداء محتجزة جثامينهم في ثلاجات الاحتلال، منهم من مضى على استشهاده أكثر من سنتين، ومنهم أقل من ذلك بقليل، لم يسلّط الإعلام

عليهم الضوء، وحينما يدعو أهالي الشهداء إلى وقفات تضامنية لا يستجيب لهذه الدعوة إلا القليل، وحينما تعقد جلسة لمنافشة قضيتهم في المحكمة لا يحضر إلا ذويهم وبضع أشخاص لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، ماذا يعني هذا يا بهاء فلسطين؟، يعني أنّ قضية الشهداء لم تعد قضية عامّة، أو رأي عامّ، هذه القضية باتت قضية خاصة لا تهمّ إلا من اكتوى بنارها. لقد تمّ التعامل مع الشهداء على أنّهم أرقام، لا يذكرون في المحافل المتعددة، ولا يذكر جثامينهم على منابر الجمعة، وتقاعس الإعلام عن متابعة ملفاتهم، للأسف يا بهاء فلسطين تمّ التعامل معكم كأرقام، أصبحتم قضية ذويكم.

الوصية العاشرة: نراكم في الجنة

إذا كان الشهيد في الوصايا التسع السابقة يبدأها بـ " لا "، ويحاول أن ينهانا عن ممارسات معينة، ففي هذه الوصية وهي الأخيرة يطالبنا بأن يلقانا ويرانا في الجنة، يطالبنا بالأعمال التي توصلنا على الجنة، وهي الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، فهذه هي الوصية الأخيرة التي تلخص الوصايا التي سبقتها كافة، نسأل الله أن يجمعنا مع الشهيد والشهداء كافة في الجنة.

المجد والخلود لشهيدنا ولكافة شهداء الوطن الذين ارتقوا وهم يحملون قضية، ليتنا نحمل قضيتهم، ليتنا نشعر بآلام ذويهم

ونتحمل الجزء القليل من الأعباء الثقيلة التي يحملها ذوو الشهداء على أكتافهم للدفاع عن حقوق أبنائهم، وأبسط حق هو حقّهم بالدفن بكرامة.

البهي بهاء نجمة في سماء القدس

يونس العموري

استمعوا جيدا، واحفظوا وصاياه فقد نقشها هذا الفارس الجميل المترجل على صهوة جواد القدس، وكان ان اعتلى اسوراها وباسمها نطق الضاد واستهل كلامة .ايها الجميل بابداعك، كنت صاخبا هذا اليوم بالجبل الاشم، ذكاؤك، نقاؤك الثوري، حَرفيتك، مهنيتك بكل ما تفعل... كل هذا جعل من عرفك برغم سني عمرك القصير مطمئنا ان للوطن وللفقراء ما زال نصيرا مؤمنا بهم عاملا في سبيلهم.... وان للقدس رجالاً ما زالوا يؤمنون بها وبقدرتها على النهوض من جديد وإثبات عروبتها.... حواريها تعرفك تماما وأزقتها كانت شاهدة على تجوالك بين ثناياها... انت يا سيدي واحد من فرسانها الذين انهكهم التفاؤل لدرجة الترجل.. والذين علموا وعرفوا ان للأحزان جمالاً لابد من استغلاله في أتون فعل العطاء وتراكمه واثبات الوجود ...الآن برحيلك، بات عليّنا أن نفكر من جديد.... فهل من قادم نحو راية فعل العطاء البعيد عن المزيدات والفئوية والناصر لإبداعات الشباب. ...ربما كان هذا أجمل ما في رحيلك. قلّما كان في الحزن جمال.... فمثلما يغادر الفرسان غادر ايقونة شهداء القدس البهي بهاء بكثير من الضجيج والصخب ترجل فارس العطاء بدون مقدمات للرحيل... انسحب من المشهد العام ليكون الفراغ في فن صناعة فعل الفعل والتي لن يملؤه سوى واحدا بحجم الشباب المؤمن بالقدرة

على العطاء والفعل دون انتظار الاشارة والشارة الأتية ممن يعتلون منصات الكلام واعطاء الأوامر، ولتعلن الكلمات عن نقص في البلاغة والتحليل وفهم الموقف وتقديراته لن يملأها إلا هذا النظيف الخلوق ذاته... بهدوء يصل الى درجة الاستفزاز ارتقى بهاء واخلى الطريق لمن غاب، البهي بهاء فارس الكلمة الحرة الأمينة المعبرة عن اصرار المقاوم في عروبته، والعاشق في عشقه، والحبيب في حبه، والأرض الثكلى، التي تأبى إلا أن تنطق بلغة الضاد، في حارثيها وزارعيها ...عرف معنى ان تكون مناضلا حرا أبيا شريفا نظيف الكف وان تكون وسط الفقراء اولا وصوتهم الذي ينطق بكل اسمائهم عند زعماء القبائل الجدد.فكانت وصاياه وكأنها دستورنا الجديد... كان رقيقا، وبذات الوقت عنيدا ضد إفسادنا لنقاوة الإنسان فينا... وللحب بأعماقنا.. كان وحدويا يجهر بضرورة التلاقي في بوتقة الفعل الوطني الواحد ...كان البهاء مؤمنا بالثقافة وانها مرادفة للعطاء، ومرادفة لفعل النقد وتصحيح الخطأ.

لذلك عرف معنى أن يكون المناضل مثقفاً ومعطاء ومبدعاً في توازنات المعادلة وكان البهي .أسلوبه كان متميزاً فيه كثير من العقل والواقعية والمنطق ونعومة التعبير المقرونة بعمق التحليل والجرأة في اتخاذ الموقف ....مثلما هي العادة حينما نبحث عن هؤلاء الفرسان وسط كل هذا الدمار والإنهيار بالقيم والأخلاق قبل ان يكون فعل الإنهيار بمداميك الأساسيات الوطنية كنا نقف كل مرة عند هذا الفارس حتى انه اضحى واحدا من هذه العناوين التي من شأنها ان تربكك بهدوئها

واخلاقياتها، والتي من شأنها ان تربكك بالقدرة على منحك هذا التفاؤل والنهوض من جديد... رحل فارس العطاء وترك لنا الفراغ، لعل فعل الرحيل هذا كان الحل الأمثل لإغماض العيون عن كل هذه الإنهيارات ولعل البهي بهاء لم يحتمل مشاهد تدمير الذات اكثر من ذلك ....لقد فقدنا واحدا ممن علمنا معنى أن تمتلك موقفاً حرّاً شريفاً لا يخشى في الحق لومة لائم... ومنذ الآن فقدنا اساسا من اساسيات صناعة الموقف بالقدس وصياغة مفاهيم العطاء للقدس.. منذ الأن فقدنا واحدا ممن تعلمنا منهم كيفية صناعة القرار... وبواعثه ومنطلقاته... قالوا عنه الكثير وممن قيل ويقال عن هذا الفارس الصغير الجميل كنا نشعر ونحن نعمل معه، بأننا امام شخص يشترك مع الأخرين بصناعة الظرف وتجلياته على الأرض.

وأعتقد أن الساسة ومحترفي الفعل السياسي، على مختلف مواقعهم وتحالفاتهم، سيأخذون ولابد ان يأخذوا بمواقفه وتحذيراتها ممن يتربص بنا وبوحدتنا والأهم ممن يعمل على نشر واستشراء المرض فينا... فمنهم من كان يخشى من وقائع تلك المواقف عليهم وعلى عروشهم ومواقفهم... ومنهم من كان يستبصر بها ويفكك اولوياتها ويعيد صوغ مفاهيمها بفعل تقدير الموقف للحالة الظرفية الراهنة ...اذن، كان رحيل هذا الشاب الذي علمنا الدرس الأقوى والاجمل،وتركنا نتخبط في البحث والتفتيش مرة اخرى عمن يملأ المكان وساحات فعل العطاء للقدس ومن اجل القدس ولكل الوطن الذي يئن الآن تحت ضربات ابنائه وجلادي عصره الجدد من

رجاله المتجهين نحو الطريق المعاكسة لفعل العطاء الحقيقي ...لقد رحل واحد من ابرز عناوين القدس حبا وعطاء واخلاقا، والأصلب في مقارعة الغلط، والأكثر استنارة، والأقدر على استيلاد الأفكار البكر والمؤهلة لأن تجدد في نمط الإنتاج الفعلي، والعاطي لذاته فرصة التحرر من تكلسات الانغلاق والوهم في امتلاك حقيقة الموقف ...رغم أن لائحة وصاياه تقول: "لا تبحثوا عما كتبت قبل استشهادي، بل ابحثوا عما وراء استشهادي". لكن لعل البحث في كلمات بهاء عليان يوصلنا إلى فهم شيء مما يجري . كلمات بهاء ستدخل تاريخ الوعي الفلسطيني. هذا أمر مؤكد. حيث انه وعندما يجتمع الوعي والفعل الثوري بذات الشخص ينتج ثائرا حقيقيا... احفظوا وصايا الشهيد بهاء عليان عن ظهر قلب فهي كتبت بالدم الوصايا العشر لأي شهيد

1. اوصي الفصائل بعدم تبني استشهادي فموتي كان للوطن وليس لكم

2. لا اريد بوسترات ولا بلايز فلن يكون ذكراي في بوستر معلق على الجدران فقط .

3. اوصيكم بأمي لا ترمقوها باسئلتكم الهدف منها استعطاف مشاعر المشاهدين وليس أكثر

4. لا تزرعوا الحقد في قلب ابني، اتركوه يكتشف وطنه ويموت من أجل وطنه وليس من أجل الإنتقام لموتي

5. إن ارادوا هدم بيتي فليهدموه، فالحجر لن يكون اغلى من روح خلقها ربي

6. لا تحزنوا على استشهادي احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي

7. لا تبحثوا على ما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عن ما وراء استشهادي

8. لا تهتفوا بمسيرة جنازتي وتتدافعوا، بل كونوا على وضوء اثناء صلاة الجنازة وليس اكثر

9. لا تجعلوا مني رقم من الأرقام، تعدوه اليوم وتنسوه غدا

10. اراكم في الجنة

قراءة سريعة في وصايا الشهيد بهاء عليان

رشيد شاهين

ليست المرة الاولى التي يترك فيها شهيد فلسطيني وصية لمن تركهم ينعمون بالحياة، سواء كان هؤلاء من الاهل والاحبة والاصدقاء، أو من الرفاق على درب مسيرة النضال المستمرة طالما بقي الاحتلال. وقد ساد هذا النمط بشكل كبير خلال سنوات الانتفاضة الثانية.

في الواقع، إن ما ميز وصية الشهيد بهاء، هو كتابته لوصيته على صفحته قبل حوالي عام من استشهاده، وهذا يختلف بشكل عام عن وصايا الشهداء الآخرين، الذين عادة ما كتبوا وصاياهم، قبل فترة قصيرة وربما قصيرة جدا من تنفيذ عملياتهم.

لقد كان لافتا ان بهاء كتب في أولى وصاياه العشر، رغبته عدم تبني الفصائل لاستشهاده، وأكد ان موته كان للوطن وليس للفصائل، وهذا ما يشير إلى انه ادرك وهو ابن الاثنين والعشرين عاما، ان هذه حالة مرضية سادت بين الفصائل، على مدار اعمارها، وكانت في احيان كثيرة، سببا في ارسال الكثيرين لموت مجاني، بدون تخطيط او استطلاع او تسليح وتدريب واعداد حقيقي، يتناسب مع حجم التضحية. بالإضافة الى ما تحمله من بعد استخباري، حيث توفر على مخابرات العدو، الكثير من الجهد.

كما أكد في وصيته الثانية، انه لا يريد "بوسترات" تحمل صورته، لانه لا يرغب ان تكون ذكراه على الجدران، وهذا يعني رغبته ان تكون ذكراه

في القلوب وليس لمجرد الاستعراض بكثرة الصور الملصقة على الجدارن، وهذا يؤشر على فهم عميق للكيفية التي يتم التعامل بها في احيان كثيرة مع صور الشهداء، التي تتحول من قبل البعض الى مجرد صور أو ارقام يتم الحديث عنها من قبل هذا الفصيل او ذاك على انها مجرد احصائيات أو أرقام، ويخلو الحديث في احايين كثيرة من اي نوع من "الحميمية".

وكان هنالك ادراك عال للدور الذي تقوم به بعض وسائل الاعلام، وذلك حين تحدث في وصيته الثالثة للمراسلين، طالبا منهم عدم ارهاق والدته بالاسئلة واجترار احزانها ودموعها من اجل تسجيل "سبق" او خبر يستدر المزيد من المشاهدين أو القراء.

وفي الرابعة، يمكن ملاحظة فهم انساني عميق، حيث يطلب من الجميع عدم تعبئة ابنه بأي نوع من انواع الحقد، وان يترك له حق تقرير ما يريده مستقبلا، هذا الفهم للوعي الانساني المفقود لدى الاعداء في الطرف الآخر، الذين يعملون على تعبئة اطفالهم بكل انواع الحقد، وفي هذا الاطار تقول غولدا مئير، "ان من حق اليهود بعد الهولوكوست، القيام باي شيء دون ان يسألهم عن ذلك أحد"، هذا هو الفرق بين بهاء عليان وبين حقد غولدا مئير، وهذا ما يضع بهاء في اسمى المراتب الاخلاقية برغم صغر سنه. هو يريد ان يكبر ابنه ويحدد خياراته دون تدخل عامل خارجي، وان يترك له حق اكتشاف وطنه والقتال من اجل هذا الوطن وليس من اجل الانتقام لموت الوالد.

ويتحدث بهاء بعمق فلسفي في وصيتيه الخامسة والسادسة، ففي الخامسة يقول، ان ارادوا هدم بيتي فليهدموه، فهو ليس اغلى من الروح، في مؤشر على تسامي بهاء عن الدنيا بشكل نادر الحدوث.

وهذا ينطبق على السادسة، حيث وبنفس منطقه الفلسفي يقول "لا تحزنوا على استشهادي، بل احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي"، وهل هناك اعمق من هذا الوعي لشاب نذر نفسه للوطن، نعم علينا ان نحزن على ما سيجري لنا، وفي هذا رسالة تموج بالحكمة وبعد النظر، ومحاولة للقول ان اوضاعنا بما نحن فيه من شقاق وتشتت وانقسام، هي من يدعو الى الحزن والرثاء.

أما في السابعة، فانه يمكن قراءة ما هو اعمق في تفكير بهاء، فهو يقول" لا تبحثوا على ما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عما وراء استشهادي"، وهذا ما يؤكد البعد الفلسفي العميق في فكر هذا الشهيد اليافع، وهذا ليس مستغربا عندما نعلم انه كان يتميز بالقراءة ويلتهم بنهم كل ما يقع بين يديه من كتب وابحاث التهاما.

وفي الوصايا الثلاث الاخيرة، فان بهاء لديه قناعة راسخة بانه ذاهب الى الجنة، وهذا مؤشر على حالة ايمانية عميقة، كما ويطالب بالا تتدافع الجماهير خلال جنازته.

واخيرا، فهو وبحكم معرفته بالعقلية التي نتمتع بها،" لا تجعلوا مني رقما من الأرقام، تعدوه اليوم وتنسوه غداً"، وهو هنا يشير الى ان علينا ان نكون فعلا على قدر ما نردد من شعارات ونهتف من هتافات، وان نبقى

مخلصين للشهداء فيما نردده من شعارات، العهد هو العهد، والقسم هو القسم، وباننا سنكون الاوفياء للشهداء.

بهاء عليان، من خلال وصاياه، يضع اصبعه برغم استشهاده على جروح كثيرة، ويؤشر على العديد من النقاط واماكن الخلل التي تسود المجتمع بعامة والفصائل بخاصة، وهو بذلك انما يريد من الجميع، ان يتعلموا الدروس، وأن يأخذوا العبر، فهل نقرأ وهل نسمع؟!

أوصيكم بأمي

زياد خداش

هذا جيل فلسطيني مختلف، خفيف الوزن، ثقيل النيات، وخطير الرؤية، هو الجيل الخارج عن كل الأرقام، خرج من البيت صافقا الباب بقدمه، وقرّر ألاّ يعود إلى الزوجة أو الأم أو الوظيفة أو مقعد الجامعة، إلا بعد أن يشبع الفكرة فهماً وحباً وقداسة، بعد أن يحولها إلى واقع ملموس، إلى حرية تُمْسَك باليدين، وحق يشم بالأنف، وبيارة تشرب بالقلب، جيل قرّر أن يتشرّد في فيافي السؤال، لعلّه يعثر على جزيرة الجواب، جيل كسر ظهر المحفوظات الثورية ومنهاج الجغرافيا الأوسلوي الذي قال إن جبل الجرمق ليس أعلى قمة في فلسطين. جيل لم يعد يؤمن بالإنشاء طريقاً للحرية ولا بالغيبيات منهجاً للعودة، جيل لوى عنق البرامج الحزبية، ووضع حواجز على الطرقات، لعرقلة مرور المتكرشين، العائدين مترنحين في ليالي الجنس والمال والسلطة.

هذا جيل واضح المعالم، يعرف ماذا يريد، لا يرد على مكالمات الآباء القلقين، ولا ينهار لصوت الأم الخائفة في خلفية صوت الأب أو الأخ الأكبر، جيل لا يقف باحترام في الشارع أمام سيارات الأمناء العامين للأحزاب، ولا يؤمن برفع يافطات ثورية، ولا يصغي للخطابات الحماسية للقادة. جيل حساس لكذب السياسيين، وذكي إلى درجة الربط بين موقفين عتيقين متناقضين، ضاعا في زحام الدم، للسياسي الفلسطيني نفسه. جيل برؤية

بعيدة وباقتراح نضالي مختلف، في سياق مرحلة غريبة صعبة ومعقدة، لم يشهدها الصراع العربي الإسرائيلي. هذا جيل يمتلك معلومات كثيرة، وليس فقط غضباً كثيراً، يحب ماركس بطريقته ويحتقر الإمبريالية الأميركية بطريقته. جيل يشاهد بانتظام السينما الحديثة، يعشق أودي ألن، ويتقزز من سياسة أوباما. وهو محلل هادىء لأوضاع البورصة ومتذوق للأدب الوقح. جيل يسكن الشبكة العنكبوتية، يفرط في العلاقات العاطفية، ويسهر حتى الرابعة فجراً، ويرسب في الرياضيات كل عام، لكن قصص غسان كنفاني تنام على صدره، وقصيدة مديح الظل العالي يفيض بها قلبه، وكتاب "معذبو الأرض" يسيل من خاصرته. جيل يعرف جيداً كيف يخترق حسابات الآخرين، لكنه يعرف أيضاً كيف يرد على حقارات أفيخاي درعي. جيل اعتقدناه جيل الميوعة والسقوط الأخلاقي والتخلي عن الثوابت. جيل فاجأنا، أيما مفاجأة، وخلخل حساباتنا، وأحرجنا أمام توقعاتنا، نحن كهول الانتفاضة الأولى التي اعتبرناها انتفاضة التأسيس للوعي الانتفاضي الجديد. هذا جيل يكتب قصائد الحب في الليل، وفي النهار يكتب نصوص الوعي الثوري الجديد. هذه (أدناه) ليست وصايا، كتبت ليتبعها مناضلون في بلاد محتلة، ولا هي محاولة من شاب متحمس للفت الانتباه إلى وعيه الجديد، ولا هي حكم أو أمثال صيغت بكل هذا البهاء اللغوي، ليتعظ بها الناس في فلسطين.

هذه ليست خطة اضطرارية للقتل، هذه ليست ألعاباً لغوية في التدرب على الدقة اللغوية، وتطابق اللفظ مع المعنى، مارسها شاب فلسطيني طموح.

أدناه: فتح جديد في كتابة الوطن وفي الحلم به وممارسته، رؤية طازجة في مقاربة العالم والنفس وفلسطين، برنامج حب ووعي ملحمي، ابتكره الشهيد بهاء عليان من جبل المكبر في القدس. أدناه: شعر ومعلومات وحداثة ووعي وحب. أهي فلسطين الجديدة؟

أوصي الفصائل بعدم تبني استشهادي، فموتي كان للوطن وليس لكم. لا أريد بوسترات ولا بلايز، فلن تكون ذكراي في بوستر معلق على الجدران فقط. أوصيكم بأمي، لا ترهقوها بأسئلتكم، الهدف منها استعطاف مشاعر المشاهدين، وليس أكثر. لا تزرعوا الحقد في قلب ابني، أتركوه يكتشف وطنه، ويموت من أجل وطنه، وليس من أجل الانتقام لموتي. إن أرادوا هدم بيتي فليهدموه، فالحجر لن يكون أغلى من روح خلقها ربي. لا تحزنوا على استشهادي، احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي. لا تبحثوا عما كتبته قبل استشهادي، ابحثوا عما وراء استشهادي. لا تهتفوا بمسيرة جنازتي وتتدافعوا، بل كونوا على وضوء في أثناء صلاة الجنازة، وليس أكثر. لا تجعلوا مني رقماً من الأرقام، تعدونه اليوم وتنسونه غداً.

أراكم في الجنة.

معلم الجيل الشهيد بهاء عليان

سمير سعد الدين

قرأت الكثير برثاء الشهيد بهاء عليان فلسطينيا وعربيا وعالميا لكني لم أر أبلغ من كلمات الكاتب والناقد إبراهيم جوهر الذي وصفه بمعلم الجيل والمعني هنا الشباب الفلسطيني الذي يسطر في كل يوم بطولاته بالتصدي للإحتلال وجنوده ومستوطنيه والذي أيضا يطير النوم من عيون كل شرائحه ومكوناته إذ يعترف خبراء السياسة والعسكر الإسرائيليون أن إنتفاضة الشباب الفلسطيني مستمرة وأنه يجري التحضير لتهيئة 70 كتيبة إحتياط لطيلة العام القادم لمجابهتها بدءً بدعوة عدة كتائب قبل نهاية العام مع الإشارة هنا أن إبراهيم جوهر له خبرة ومعرفة بالشباب المقدام وخاصة أؤلئك الذين يتطلعون للإبداع والكتابة مع رفيق دربه ورسالته الأديب والروائي الشيخ جميل السلحوت ليس على مستوى القدس فقط وإنما على مستوى الوطن الفلسطيني بكليته.

لقد إستقطبت وصايا بهاء عليان بالتحليل والتعليق والدراسة والبحث قطاعات واسعة من مجتمعنا الفلسطيني وخاصة الشباب والعربي والدولي وغدت من أولويات الإهتمام الإسرائيلي وفسرها البعض بأنها خارطة طريق للتخلص من الإحتلال الإسرائيلي بعد أن عجزت

فصائلنا التي كان من المفترض أن تقود سفينتنا إلى بر الأمان وعلى رأسها من هيئت لهم أنفسهم بأنهم قادة وخاصة أؤلئك الذين صنعوا الإنفصال والإنقسام والذين لم يستطيعوا تصحيحه وتقويم إعوجاجه ولهم من هتافات أم الشهيد خالد جوابرة بمخيم العروب عبره وأهمها ما يتعلق بالتقصير بالمصالحة والوحدة الوطنية ومما ذكرته صحيفة هآرتس اليوم نقلا عن مصادر هامة أن هناك خشيه لتراجع شعبية السلطة الوطنية هناك مقومات لدى كاتب الوصايا العشر أنه مؤمن بالحياة وأن إستشهاده لم يكن إلا ليكتب الحياة لأبناء وطنه وليس حبا بالموت لأطفالنا والأجيال القادمة وتطهير الأقصى والمقدسات الإسلامية والمسيحية ورفض التجارة الفصائلية بالشهداء ورفع الرايات الملونة والمزركشة بالجنازات بدل العلم الفلسطيني

بهاء فلسطين الذي أحب البعض ومنهم والده المحامي محمد عليان أن يطلق عليه هذه الصفه مثقف وواع ولم يقدم روحه هباءً منثورا فهو صاحب فكرة أطول سلسلة قراءة للكتاب حول سور القدس ولذلك كان يعي تماما لوضعه وصاياه وتقديم روحه كي يحيى الوطن وأبناؤه وبناته

من وحي الوصية

نصوص دامعة

،،،... يؤكد الشهيد بهاء في البند الاول من وصيته انه يعمل من اجل الله والوطن وليس من اجل اي فصيل او تنظيم او جهة معينة، وهو بذلك يكرس فكرة سامية وهي ان الوطن اكبر من الجميع.

البهاء اليوم هو ليس " بهاء محمد عليان " بل " بهاء فلسطين "

البهاء يكبر بالوطن

ونحن نصغر بالفصيل....،،

من وحي الوصية

محمد عليان

14.اكتوبر 2015

على ضوء تعدد المنشورات التي تنسب الشهيد بهاء عليان الى هذا الفصيل او ذاك، اكرر التأكيد تلو التأكيد ان الشهيد ينتمي الى الوطن فقط وليس له اية صلة باي فصيل، وهذا ما اكده في البند الاول من وصيته لمن يقرأ الوصية، احترموا وصية الشهيد ولا تطلقوا العنان لخيالكم الجامح واتركوا الشهيد يرتاح في مثواه الاخير وقد ادى الرسالة، ودعوا ذويه يتألمون بصمت

قال بهاء في ذات حلم

ما اكبر الوطن

ما اصغر " الفصيل"

****

17 أكتوبر ، 2015 ·

خشيت من وحشة الليل

لكن النهار لم يتأخر هذه المرة

صباحكم نور

وفجركم جديد

ولكم منه كل البهاء.

18 أكتوبر، 2015

من وحي الوصية (1)

يؤكد الشهيد بهاء في البند الاول من وصيته انه يعمل من اجل الله والوطن وليس من اجل اي فصيل او تنظيم او جهة معينة، وهو بذلك يكرس فكرة سامية وهي ان الوطن اكبر من الجميع.

البهاء اليوم هو ليس " بهاء محمد عليان " بل " بهاء فلسطين "

البهاء يكبر بالوطن

ونحن نصغر بالفصيل

صباحكم للوطن انتماء.

****

19 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي وصية الشهيد (2)

ماذا لو نسبنا الشهيد الى الوطن الذي هو اكبر منا جميعا ؟

اعلن انا المواطن البسيط محمد عليان بنسب ابني الشهيد بهاء الى فلسطين وهو منذ اللحظة الاولى لاستشهاده اصبح اسمه " بهاء فلسطين " وليس " بهاء محمد عليان ".

ولكم التعليق.

****

20 أكتوبر، 2015

دمعة ودمعة

وقالت الدمعة لرفيقتها الحبيسة: انطلقي انت

فرحة ل " حسام "، اما انا فلم يحن وقت البكاء بعد.

****

21 أكتوبر، 2015 ·

(من وحي الوصية3)

والدي التسعيني يقول دون ان " ترافق " كلماته اية دمعة: حملت جثة شقيقي عامر الذي سقط وهو يقاتل مع "جيش الحسيني" من القسطل، على كتفي وقطعت مسافات طويلة الى ان وضعتها في مكان ما، بعد ان اغلقت العصابات اليهودية علينا الطريق..

والدي التسعيني لا يعرف المكان لكنه يقول انه ربما يكون في بطن سبع او حوصلة طير

والدي التسعيني لم يبك بهاء فلسطين وقال انه سار على درب شقيقه الشهيد،

لعل في كلماته عبرة تفيدنا في هذا الجدل المرهق حول " حبس " الجثامين

هذا الشهيد عن ذاك الشهيد

ما بفرق

ما بفرق

ولا يجب ان نجعله يفرق.

****

22 أكتوبر، 2015 ·

من وحي الوصية 4

" شد حيلك "

قال لي احد " المسؤولين " متضامنا واكتفى او صمت لا ادري،

لم اقل له ان " حيلي " مشدود

وانني لا اهتزو" اتمايل " مع الريح

ولم اقل له ان وقت الكلام عندي لم يبدأ بعد

لكنه سيبدأ

حتما سيبدأ.

****

23 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية (5)

" بهاء فلسطين "

ليس حجرا يهدم

او جسدا يرحل

هو فكرة وروح

والفكرة لها الشباب يغذيها

والروح لها القلوب تسكنها

صباحكم بلا وجع.

****

24 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية (6)

والد الشهيد

1. هو يتلقى نبأ استشهاد ابنه من وسائل الاعلام.
2. ينتظر اقتحام الجيش لبيته و" تخريب " محتوياته.
3. يتلقى دعوة " لزيارة " غرفة4.

5. يجري اتصالات حثيثة مع المحامي للافراج عمّن يعتقل من ابنائه الاخرين.

6. يتعرض للابتزاز من احل الافراج عن جثمان ولده الشهيد ويواصل لايام وربما لاشهر طويلة معركة ما يسميها الاعلام " تسليم الجثامين ".

7. يقيم خيمة الشهيد لاستقبال المتضامنين او المعزين او المباركين.

8. يخاطب الحضور ويرد على كلمات الخطباء (وما اكثرهم) في مثل هذه المناسبات.

9. يستقبل الفرقة الهندسية التي تأخذ مقاسات البيت استعدادا للهدم.

10. يستمع الى تحليلات "الخبراء " في كل شيء،فيما يتعلق بتصريحات الحكومة حول سحب الهويات والعقوبات الجماعية.

11. يفرغ محتويات البيت مما غلا ثمنه وخف حمله استعدادا لامكانية هدم البيت.

12. يحدد المواعيد الدقيقة لوسائل الاعلام ويقرر ان يحتمل اسئلتهم المؤلمة وليست ذات الصلة برسالة الشهيد.

11. يلتقي المسؤولين " بصفتهم الشخصية " ويضطر الى احتمال وجع الاستماع منهم الى الوعود الفارغة والمتكررة.

12. يومه يبدأ من الساعة السابعة صباحا وينتهي عند منتصف الليل.

13. يأوي الى الفراش بعد يوم مرهق، يعانده النوم، وفي ذلك رحمه من الله كي لا تأتيه كوابيس الليل فضلا عن كوابيس النهار.

****

25 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية 7

نافذة فرح: يواصل ذوو الشهداء اللقاءات والتنسيق من اجل " عرض " موقف موحد ازاء قضاياهم المشتركة معبرين بذلك عن وحدة الموقف والهدف والقضية..

فضاء من الخيبة: تواصل القوى الرسمية وغير الرسمية الانشقاق والتخبط والتاخر عن موقف " الشارع " والتعاطي " الفردي " والسطحي مع قضايا ذوي الشهداء الهامة والملحة.

الشهداء

من الشارع

وللشارع

وقال الشهيد في ختام منشوراته " الشارع هو الذي يقرر "

صدق الشهيد وكذب المدعون

****

26 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية 8

عندما تصبح قضايا الشهداء العالقة قضايا شخصية، كل والد يعالج قضيته بنفسه وفقا لتجربته وعلاقاته وقدراته، يتململ الشهداء في مكان حبسهم، ينزفون دمعا ووجعا، على ما سيحصل من بعدهم.

وقال بهاء فلسطين في وصيته السادسة " لا تحزنوا على استشهادي احزنوا على ما سيجري لكم من بعدي "

****

27 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية 9

غادرت ايها البهاء ورحلت

وتركت وصية تنأى عن حملها الجبال

ما اقل الجبال عندنا

وما اكثر تلال الرمل

ستبقى الجبال شامخة

اما تلال الرمل فتذروها الريح

صباحكم القوة والبهاء

****

28 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية (10)

تسألني وسائل الاعلام الملحاحة ما الذي يدفع بهاء المثقف المبدع الحالم العاشق ان يقطع احلامه فجأة وان يصل في عشقه حد التضحية..

أدعو السائلين بالحاح الى قراءة وصيته، بقليل من التركيز والتفكير، علهم يجدون الاجابة التي يبحثون عنها. بهاء فلسطين فاجأنا جميعا كما كتب الصديق أسامة العيسة في منشور له امس، ولكن المفاجأة كانت لاننا لم نكن نسمع له ولم نكن نقرأ ما وراء السطور، بل واصلنا في اهمال هذا الجيل العاشق حد التضحية.

هو كان رمزا للتضحية

ونحن كنا رمزا للانانية

هو الجيل الواعد

ونحن الجيل الخائب

اقرأوا وصيته ايها " المحنطون "

وامنحوا الشباب الحياة

****

29 أكتوبر ، 2015 ·

هل خُنقتْ الصرخة التي اطلقها اهالي الشهداء في مؤتمرهم الصحفي في رام الله اليوم ؟

هل ذابت وانجرفت مع الامطار الغزيرة التي كانت تهطل بغزارة وقت ميلاد الصرخة وانطلاقها ؟

هل سيواصل اهالي الشهداء معركة استعادة الجثامين وحدهم ؟

اسئلة كثيرة وكبيرة تؤرقني وانا استمع الى التقارير " الباهتة والخجولة " عن المؤتمر الذي لم يشارك به اي من ذوي الياقات البيضاء.

اعذرني يا بهاء فلسطين، لم اصغ الى وصيتك هذه المرة

****

30 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية 12

المؤتمر الصحفي الذي عقده اهالي الشهداء امس، خرج قليلا عن بروتوكولات المؤتمرات الصحفية المألوفة:

1. لم يكن البيان يتضمن صياغة انشائية تقليدية (يعني ما في طخطخة)

2. الجالسون على المنصة كانوا اهالي الشهداء فقط. بلباسهم البسيط والعادي (يعني بدون بذلات وربطات عنق واحذية ملمعة)

3. تكلموا جميعا وكل واحد بلهجته المحكية وبمفردات خرجت من القلب قبل ان ينطقها اللسان (يعني مش بالفصحى والكلمات المصطنعة)

4. طالبوا جميعا بتحقيق مطلب واحد فقط وهو تمكينهم من تقبيل وجنتي الشهيد ودفنه بصورة لائقة (يعني مش تحرير فلسطين)

5. اظهروا على المنصة العزة والكرامة والشجاعة والقوة وعدم الخضوع لاي ابتزاز (يعني مش متصنعين ومدعين ومنكسرين)

6. كانت اضواء الكاميرات تخجل من الضوء المنعكس من وجوههم الصافية (يعني مش بحاجة الى تلميع)

7. لم يتنافسوا على الكلام وتركوا ممثلهم ينطق بلسانهم دون اي تعقيب او مقاطعة (يعني كانوا موحدين وغير منشقين)

8. اللقب الوحيد للتعريف هو " والد الشهيد " (يعني مش دكتور او محامي او مسؤول او رئيس هيئة)

هذا غير مألوف في رام الله.

وغير مألوف للمحطات الكبيرة التي تبحث عن شيء آخر اكثر اثارة للمشاهد (ربما الدموع وهي تنهمر من العيون او الوجوه وهي حزينة كئيبة (مش القوة والصمود والكرامة)

وصباحكم عزة اهالي الشهداء.

****

31 أكتوبر ، 2015 ·

من وحي الوصية (13)

تتصدر صور الشهيد بهاء فلسطين بطاقات دعوة لنشاطات فنية او ثقافية او حملات تبرعات في خارج الوطن، مذيلة بملاحظة ان ريع هذه النشاطات سيرصد لاعادة بناء بيوت الشهداء التي هدمها او سيهدمها الاحتلال.

أثمّن الحرص الوطني للقائمين على هذه الحملات ولكنني اقول وبصوت عال ليسمعه الجميع ان العمل بهذه الطريقة الفردية والعفوية يشجع ظاهرة، طالما كتب عنها الشهيد بهاء فلسطين، وهي استثمار الشهادة لجمع الاموال واستعطاف " جيوب " الناس، دون رقيب او حسيب.

نشكر مبادرتكم ولا نقصد جرح مشاعركم ولكن ليتكم تكفون عن العمل الفردي او الجماعي العفوي "لتعويض عائلات الشهداء " لان الشهداء ارتقوا من اجل الكرامة وعملكم هذا يجرح الكرامة ايما جرح.

1 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 14

ويسألني مراسل الفضائية: وماذا بعد ان استنفدتم الوسائل القانونية لتحرير جثامين الشهداء ؟

قلت بقليل من التردد وبعض ارتباك وكثير من الوهم: البركة في قيادتنا السياسية التي ربما " تلوح " بالضغط السياسي..

وقلت بكل قوة: سنواصل المعركة

وقلت بكل عزة: ان حبس الجثامين لن يهزنا ولن يضعفنا.

هكذا علمنا ابناؤنا الشهداء.

****

2 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 15

قال لي المحلل السياسي " البارع " ان كل ما يحدث هو مسرحية متقنة الاخراج والتمثيل..

لم اقل له ان الفقد والثكل ليس تمثيلا بل هو الاكثر حقيقة في هذا العالم، وهو الاكثر ايلاما من بين كل هذا الكم من الاحزان..

وفكرت، ما اقل الممثلين الذين يبكون من وراء القناع ليضحك الاخرون، وما اكثر المتفرجين الذين يسندون ظهورهم على مقاعدهم بارتياح

وفكرت "بزواج الشهيدين " من الخليل على المسرح وقلت

ما اكبر الفرح

ما اكبر الفرح

حتى لو كان لحلم لن يتحقق.

****

3 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 16

القاء نظرة الوداع

لف التابوت بالعلم

وحمله على اكف عالية وثابته

مسيرة هادئة صامته

يتقدمها اهل الشهيد

بلا هتافات ولا شعارات ولا رايات

لا اطلاق نار ولا مفرقعات

بلا " كلمات" وداع ولا خطابات

هذا هو التشييع المهيب للشهيد بهاء فلسطين

لو افرجوا عن جثمانه الاسير

في الصبح في الظهر في العتمة.

****

4 نوفمبر، 2015 ·

ينتصف الليل

اقاوم رغبتي بغفوة قصيرة مزعجة

ربما احظى في الساعات القادمة

بنظرة

او قبلة

ربما.

****

4 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 17

العشق للحياة

هو الخط الدقيق الفاصل بين

حقلين متلاصقين

الحزن على الفقد

والفرح من اسبابه

انت تهرول وحيدا

بين هذا وذاك

وبين ذاك وهذا

تتعبك الهرولة

لكنه هو العشق للحياة

والسعي لنشر رسالة.

****

5 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 18

بهاء فلسطين وقبل خروجه من البيت صباح يوم استشهاده طلب من امه تزبيط زر قميصه لأنه ذاهب الى عرس، وفي هذه دلالة رمزية عالية وقيمة فلسفية تحثنا على مواصلة الحياة بكرامة وعزة وفرح..ليس وفاء للشهيد ان نتوقف عن كل ما يدعونا للفرح وان لا نخرج من دائرة الحزن.

صديقي الدكتور وائل أبو عرفة وابنتك الغالية الجميلة الاستاذة سماح وائل أبو عرفة؛ ألف مبروك العرس الفلسطيني الاصيل ومبارك اصراركم على الحياة رغم كل الظروف.

عرس عن عرس ما بفرق

كلاهما عشق للحياة

للحزن وقت ضيق

وللفرح كل الوقت

هذه وصية بهاء فلسطين.

****

6 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 19

دعوة مترددة الى الذين لا يحسنون حتى ركوب الموجة:

جثامين الشهداء وحدها هناك

في صقيع الثلاجات،

ماذا فعلتم،

وماذا ستفعلون قبل فوات الاوان ؟

ارواحهم تحوم حولكم..

تسخر من عجزكم وصقيع ارواحكم.

وما بين صقيع الجثمان

وصقيع الروح فرق

وايما فرق !!

ملاحظة: لقد وضع الشهداء نقطة. ولستم انتم من يكملون السطر الجديد. ادري ذلك واعلمه علم اليقين.

****

6 نوفمبر، 2015 ·

ثمة لوحة موحية نشرها بهاء فلسطين على صفحته في الفيسبوك، في وقت سابق، في اشارة الى ان موكب الشهداء لا ينتهي !!

ربما كان بهاء فلسطين قد اعد " القبر الفارغ " لنفسه

ربما

لا احد يدري !!

ولكن الجميع يدري،

ان جثمانه لا يزال حبيس الثلاجة،

ولم يكتب اسمه على " الشاهد " بعد،

من يكتبه ؟

ومن يزرع الياسمين ؟

****

7 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 20

ضيف

(.....) قال لي محاولا "مواساتي " او تعزيتي او اختبار قوة احتمالي للاستماع له في هذه الظروف،

قلت له يا سيدي هم وقود للثورة وليسوا وقودا للطبخة (يقتلني استخدام كلمة " وقود " لكني اعترف انني استخدمتها)،

وفكرت ان " الثورة" ستقطع احلامه اما " الطبخة" فيأكل منها حتى الشبع !

وكم اشفقت عليه فهو لا يعرف، حقا لا يعرف، اتنقطع احلامه فجأة ام ينتظر طبقا شهيا من "الطبخة".

اما انا فاعرف ان نار الطبخة تنطفىء مع اول قطرة من مطر تشرين.

غادرني وعدت لمتابعة اخبار الخليل

(اما انتم فصباحكم دفء على نار لا تنطفىء)

****

7 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 21

#استعادة_جثامين_الشهداء

8 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 22

غنوا " موطني "، ثم صمتوا فتفرقوا

اما الشهداء فيواصلون وحدهم الغناء

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

9 نوفمبر، 2015 ·

من وحي وصية 23

تململت الجثامين الاسيرة في صقيع الثلاجات

شعرت ببعض من دفء " الهاشتاغ "

بعض الدفء لا يكفي.

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

10 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصي 24

يا لوجعنا يا احمد

احتملنا وجع الثكل قليلا

لكن وجعك لا نحتمل

ايها الصامتون النائمون

اتركوا جثامين الشهداء في صقيع الثلاجات الى الابد فهي لن تموت اكثر.

اما الطفولة فكيف تحتمل صقيع القلوب وبرودة سراديب التحقيق؟!

كيف ؟؟؟!

#مش_متذكر اولا

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

11 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 25

((يسعد مساك

وعظم الله اجركم والله يرحم الشهداء.

بمخيلتى سؤال ممكن اسألوا إلك كونك اب لشهيد

لو حضرتك رئيس او متنفّذ سياسى بالسلطة...شو الحلول عندك لاسترجاع جثامين الشهداء

سؤالى فضول وليس انى اقف مع السياسين وشكرا الك))

.....

سؤال وردني على الخاص منه /منها، لم اجب على السؤال البريء /غير البريء، فانا لا احب لعبة تقمص الادوار، اكتفي بان اكون والد شهيد فهذا فخر لي ومثار اعتزاز

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

11 نوفمبر، 2015 ·

لا تلتفت الى صرخة والد الشهيد مناصرة

ولا الى عتاب والد الشهيد بهاء فلسطين

المهم ان تلتفت الى ما قاله الناطق باسم حركة فتح في الخليل.

اقرأ !

ثم صدق او لا تصدق

****

12 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 26

هو بعض ارهاق جراء الحمل الثقيل

اعذروني

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

13 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 27

وما نفع الكلام

اذا لم يرافقه الفعل

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

14 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 28

قلت في لقاء جرى امس مع عدد من الانقياء انني حملت في سنواتي الستين الكثير من الالقاب التي كنت ارفض ان تسبق او تتبع اسمي منها

الاسير المحرر، المناضل، الكاتب،القاص،المحامي، ولكني اليوم احظى بلقب جديد:

" والد الشهيد بهاء والناطق باسم ذوي الشهداء المحتجزة جثامينهم".

هو وسام رفيع،شريف وثقيل، منحني الصدق والحب والفرح والحزن والقوة والعزم و صفاء الدمعة ونقاء الكلمة وكرامة لا زيف فيها ولا ادعاء.

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

15 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية29

أتضيئون للقتلى الباريسيين الف شمعة

وشهداؤكم لا يزالون في العتمة ؟

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

16 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 30

بالعامية

احنا ما منتوسل وما منشحذ وما منستجدي

اي لقاء او موقف

من حقنا نطالب ب

#استعادة_جثامين_الشهداء

واذا انت مش قادر صف على جنب وما تعرض خدماتك

#بهمش_مش_عيب

****

16 نوفمبر، 2015 ·

لا تدر الينا وجهك

كما الحنظلة

نحن لا نستحق وجهك بعد

#استعادة_جثامين_الشهداء

17 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 31

فدائي

احد الاصدقاء كتب على صفحته في الفيسبوك

كلاما جميلا عن " بهاء الفدائي"،فرحت لاستخدامه مصطلح " الفدائي " وعدت بذاكرتي الى ذاك الزمن الجميل الذي كانت له مفرداته

ومفاهيمه ومصطلحاته،وشعرت بشيء من الارتياح عندما تذكرت ان " الفدائي " الشهيد كان يدفن بملابسه العسكرية المغبرة في مكان المعركة وان الملائكة،كما تقول الاسطورة، ترش على جسده المسك وتبقى ابتسامته على وجهه الذي يشع منه الضوء.

هي خربشات او ذكريات؛ وانا اعرف ان الشهداء اليوم ما زالوا عراة في الثلاجات الباردة دون ان تتمكن حتى الملائكة من العناية بهم

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

18 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 32

ما كتبته الاعلامية الناشطة امنية ابو الخير في دنيا الوطن عن والد الشهيد بهاء فلسطين، يكتبه الوالد المجروح،لسان حال ذوي الشهداء النازفة قلوبهم، على صفحته كل يوم، دون ان يسمع الا رجع صوته وصرخات الاصدقاء الاوفياء.

اللوم،كل اللوم،والعتب كل العتب،على من يدعي الفعل ولم يفعل، ورب الكون ان هذا اخطر الف مرة من الصمت.

اقرأوا حتى النهاية وفي تعليقاتكم لا تنسوا هاشتاغ #استعادة_جثامين_الشهداء فهي ما زالت محتجزة رغم كل ادعاء.

كل الشكر للاعلامية الجميلة أمنية أبو الخير.

****

19 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 33

ما زلنا نطالب عبثا بالالتقاء مع "القمة"السياسية

وقد سبقنا الشهداء الى " القمة "السماوية

اتكون الاخيرة الينا اقرب ؟!

في وطني فقط

ربما !

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

20 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 34

هناك في عتمة وصقيع الثلاجة يفرحون لكل وافد جديد، ويسألون عن الوطن والشمعة ودفء التراب،

ويبتسمون !

بصبر وشغف ينتظرون !

#استعادة_جثامين_الشهداء

21 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 35

من مسيرة المطالبة بجثامين الشهداء في المكبر

لا التفت الى العدد

التضامن يكبر بمن حضر

ولا اعتب على كل من غاب او اعتذر

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

22 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 36

صباحكم عطر شهداء يفوح عبر موجات الاثير،

صباحكم وحدة وطن وقد سبقنا اليها الشهداء،

صباحكم قوة وعزم واصرار من اجل

#استعادة_جثامين_الشهداء_حق_وكرامة

****

23 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 37

يسألني الصحفيون بإلحاح وتكرار: وهل ستؤثر حملة استعادة جثامين الشهداء على اسرائيل ؟

قلت واقول: نعم، بالطبع، بالتأكيد، قطعا، لابد ستؤثر وليس فقط على الاحتلال بل على المستوى السياسي الفلسطيني ايضا الذي رد على الحملة مدعيا الفعل وهو لم يفعل شيئا بعد.

سنواصل

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

24 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 38

انظروا الى هذه الصورة بقليل من التمعن،

اعتاد هذا الفدائي بهاء فلسطين ان لا يهدأ له بال الا عندما يرى البسمة على وجه طفل،

قال: نموت ليحيا الاطفال

ولا يموت الاطفال لنحيا نحن

وقال: لنفتح لهم نوافذ الفرح

روحه الان منزعجه وقد انضمت جثامين الاطفال اليه في صقيع الثلاجات هناك لا يستطيع ان يضحكهم

هناك يبكي عليهم

هو الذي لم يبك ابدا

وكنت كتبت على صفحتي: (شاركوا هذه الصورة واكتبوا تعليقا مناسبا يرسخ ثقافة المقاومة ويحمي الطفولة)

#حماية_الاطفال_واجب

****

25 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 39

يفرحون وهم يرقبوننا من السماء، ونحن نتجمع متكاتفين في دوار المنارة في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم مطالبين باستعادة جثامينهم الاسيرة.

هي خطوة دافئة وسط كل هذا الصقيع

وهم الاكثر احساسا منا بالدفء

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

26 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 40

رام الله امرأة فاتنة مغناج

تأسرك بعطرها الفواح

تحرسها اسود حجرية،

من كل قبلة عابرة.

بالامس اختلف المشهد

غافلت الاسود النائمة

فعانقت الشهداء،

واختلست منهم ما امكنها من قبلات،

في رام الله فقط قالوا ان الذ القبلات هي التي تؤخذ خلسة وعلى حين غفلة.

رام الله المدينة الاجمل في حضرة الشهداء..

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

27 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 41

كلمة غير خارجة عن السياق

عندما تلقيت نبأ استشهاد البهاء شعرت اني فقدت ابنا واحدا،

اما عندما تلقيت قرار اغلاق المسرح الوطني في القدس فقد شعرت اني افقد الوطن.

في الوطن الف الف بهاء

ومسرح وطني واحد

انقذوه قبل ان يفوت الاوان

فهذا وفاء لهوية البهاء والشهداء

#انقاذ_المسرح_الوطني_حماية_لهويتنا_الثقافية

****

28 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 42

اعلان للجادين فقط

(مطلوب مسؤول يمتطي موجة حملة استعادة جثامين الشهداء دون ان يسقط عنها عند اول امتطاء)

#_استعادة_جثامين_الشهداء

#بهمش_اركب_الموجة_بس_اشتغل

29 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 43

المقاومة لا تنتقص من الفرح بل تضفي عليه البهاء والوهج.

نعم لفعاليات بسمة فرح في مدارسنا،

نعم للاستمرار في الافراح والمناسبات السعيدة،

نعم ثم نعم لانارة شجرة عيد الميلاد التي يجب ان لا تنطفىء ابدا،

نعم لكل نافذة فرح،

لا والف لا لتكريس الحزن،

نحن نقاوم لنعيش ونفرح

لا ل"نموت " ونحزن

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

30 نوفمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 44

البند العاشر:

ايمن يلتقي البهاء في الجنة

يسبقه الى دفء الارض

(سباق القادة في الميدان)

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

1 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 45

رسائل

رفضت دعوة للمشاركة في ندوة حول احتجاز الجثامين في احدى الجامعات الفلسطينية، لان الندوة منظمة من قبل فصيل معين،وليس من الحركة الطلابية عامة.

رفضت التعاون في تعبئة "استمارة " لمؤسسة قانونية كبيرة بعد ان قال موظفها ان عملهم يقتصر على الارشفة وجمع المعلومات فقط !!

قلت في ذات منشور ما اكبر الوطن وما اصغر الفصيل..

وقال البهاء في وصيته ان الشهداء ليسوا مجرد ارقام للارشفة..

نهاري اليوم حافل مثل امس ومثل اي يوم مضى منذ ذاك اليوم..

فليكن نهاركم اقل ارهاقا من نهاري

وليلكم اقل وحشة

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

2 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 46

في القدس ما يستحق الفرح

في المسرح الوطني ضحكت الناس وبكت

وتململ الشهداء في الثلاجات من الدفء الكثير

"رجعت الشتوية"

ورجع معها الفن والابداع وثقافة البهاء

"رجعت الشتوية " وفرحت القدس

وبعد ايام تزداد "بهاءا" و "اشراقا" بشجرة الميلاد

في القدس الاحمر هو لون الدم

لكنه لون الحنون اكثر

(شعب يكرم شهداءه بالثقافة والابداع هو شعب يستحق الحياة)

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

3 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 47

في اللقاء مع رئيس الوزراء الحمدالله صباح امس؛ لم يكن صوت اهالي الشهداء "مخنوقا " او "خافتا" او "خجولا" بل كان قويا بقوة الشهداء، واضحا بوضوح الحق، فيه العزة والفخر وفيه الالم الانساني المكبوت،

لم تذرف الدموع هناك ولم تُعق الغصة (الواقفة بعناد في الحلق) الكلمات العفوية الصادقة من ان تخرج دون استئذان او مراعاة لبروتوكول الزيارات.

وانا استمع الى رائد شقيق شهيد الوطن سعد الاطرش من الخليل قلت ان شهداء بهذه القامة يستحقون آباء بهذه القوة، ولكنهم يستحقون ايضا اشياء اخرى اكثر

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

4 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 48

(اكثر النصوص تجسيدا للوصية)

هي ثقافة ما بعد الاستشهاد

هي الثقافة الشعبية الاصيلة التي بدأت تترسخ،

هي الهبة غير العادية التي زينها شهداء غير عاديين، آباء غير عاديين، وحاضنة شعبية ثقافية غير عادية

سيزورني البهاء في ذات حلم..

سيكون فرحا مرتاح البال كعادته عندما كان يؤسس لهذه الثقافة..

" رجعت الشتوية " جاءت في اول " مطرة " غسلت ارض القدس من كل شائبة ومن كل خوف، وكانت باكورة اعمال موسم ثقافة الشهداء..

في مساء يوم الثلاثاء الماضي تململ الشهداء في الثلاجات واحسوا بالدفء الكثير..

يوم الثلاثاء الماضي اجتمعت القدس شبابا وشيبا وأمتلأت قاعات قلعة الثقافة المقدسية المسرح الوطني الفلسطيني ليسمعوا الصرخة وهي تدوي في شوارع وحواري وازقة القدس؛ ويسمع العالم كله رجع صداها.

في تلك الامسية اطلت الشابة الجميلة لمى غوشة بثوبها الفلسطيني الاصيل وكلماتها العميقة الدافئة وصوتها الساحر،لتعلن عن بدء موسم ثقافة الشباب والشهداء

وفي الامسية استمعت القدس كلها الى قرع طبول ابناء البهاء كشافة جبل المكبر الذين فقدوا القائد وخرج منهم الف الف قائد..

وفيها عرض الشباب المقدسي مسرحية الحاجز الاخير،المقدسي الغلبان الذي لم يرض ب"الغلب"فزرع في قلوب الظالمين كل خوف ورعب..

وكانت حمامة القدس،حمامة فلسطين،الام الحنون لكل شباب القدس وعنوان ثقافتها الرائعة ريم تلحمي، بصوتها المميز وكلماتها التي لامست الروح قبل القلب..

وكانت الفرقة الموسيقية التي خاطبتنا واطربتنا بالحانها الهادئة

وحسام ابو عيشة الفنان الذي يلبس قناع مهرج الاسطورة الذي يضحك الناس وهو خلف القناع يبكي ألما وحزنا..

وفرقة زناريز الشعبية التي ادهشتنا بجمال عرضها وانتظام حركاتها الفنية وبهاء لباسها..

وبين هذا وذاك كان عرض فيلم قصير عن شهداء القدس في نهايته دوت صرخات ام الشهيد مصطفى بانها لن تشعر بالدفء الا بعد ان تدفن ابنها الشهيد البطل..

و في عمق المسرح كان الجمهور الكبير غير المسبوق،يتقدمه في الصفوف الاولى اهالي الشهداء،

وهناك وراء الكواليس كان الشباب الرائع منظمو الاحتفالية المميزة يتابعون بقلق فقرات الاحتفالية،وقلوبهم تخفق بهدوء تارة وبوتيرة سريعة تارة اخرى وفقا لوتيرة الفقرات.

على مدار ساعتين من الوقت المقدسي الثمين كان الشباب يقاتلون على جبهة الثقافة وكان الجمهور تارة يبكي وتارة يضحك وتارة يصمت وتارة يصفق وتارة يهتف..

والشهداء يرقبون ذلك ويبتسمون

حقا يبتسمون لانهم شعروا بالدفء الكثير في اول موسم الشتوية التي رجعت بكامل الدفء والجمال والبهاء

****

5 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 49

ثقافة الوطن الواحد

عندما يهب الشعب في كل انحاء الوطن ليحمل على اكتافه المثقلة بالهموم

قضية#استعادة_جثامين_الشهداء

فاعلم انك فلسطين الواحدة،

عندما تهب الجماهير وتقوم بجمع تكاليف وبناء بيت شهيد في غضون ايام من الزمن،

فاعلم انك في فلسطين الواحدة.

عندما تتحول مباراة كرة قدم الى مسرح للتضامن مع ذوي الشهداء،

فاعلم انك في فلسطين الواحدة.

عندما تصبح الشهادة رسالة (وليس رقما) تدخل في كل بيت،

فاعلم انك في فلسطين الواحدة.

هنا فلسطين الكل الواحد شعبيا

وهناك فلسطين الانقسام

الشهداء هنا ولا شأن لهم هناك

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

6 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 50

اربعون محاميا تجمعوا في طاقم واحد امام محكمة الاحتلال للافراج عن قاتل محمد ابو خضير بدعوى عدم اهليته للمحاكمة..

محام واحد او محاميان على الاكثر يحملون عبء ملف ذوي الشهداء بكل القضايا القانونية التي يحتويها هذا الملف..

رسالتي اليوم في الاجتماع مع المؤسسات الحقوقية والصحية في رام الله هي توحيد الجهود القانونية والتعامل مع ملف الشهيد من خلال طاقم مهني موحد يجمع كافة التخصصات ذات الصلة..

رسالة الحملة الشعبية لاستعادة جثامين الشهداء نجحت في تكريس ثقافة " الشهيد للوطن "

فهل ننجح اليوم بتكريس ثقافة الطاقم القانوني الموحد على مستوى الوطن لمتابعة ملف الشهيد، شهيد الوطن ؟!

علنا ننجح !

#استعادة_جثامين_الشهداء

7 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 51

جرح مفتوح

في زيارة لخيمة العزاء لشهيد الوطن مازن فلسطين في ابو ديس وبعد ان القيت كلمة حول الجهود المبذولة لاستعادة الجثامين،تقدم الي شاب وعرف نفسه بانه شقيق الشهيد البطل نبيل حلبية المحتجز منذ عام 2000 في مقبرة الارقام

قال ان الجرح مفتوح

قال ان الجرح ينزف

قال كما لو ان شقيقي استشهد يوم امس.

15 عاما ولا يزالون يحلمون بالقاء نظرة الوداع

بين 15 عاما و 53 يوما لا فرق

الجرح لا يلتئم والنزيف لا يتوقف

حزنت كما لم احزن يوما

وادركت كم هي كبيرة وثقيلة قضيتنا

قضية

#استعادة_جثامين_الشهداء

8 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 52

عتاب

في الخليل الدفء الكثير

وفي رام الله حنان ينعش الروح

وبينهما القدس ما زالت "تتثاءب "

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

9 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 53

اعلام

نبقى اقوياء الى ان يأتي اعلامي " ذكي" الى البيت ويسألنا ما هو شعوركم وانتم تدخلون غرفة الشهيد وتجدون سريره فارغا ؟

هنا دموع

هنا غصة

هنا لا يعود للكلام معنى

هنا لا يوجد سبق صحفي

ابعدوا الكاميرات عن الدموع الحبيسة، التي لا تزال تنتظر لحظة الوداع ولا تنكأوا جروحا هي نازفة اصلا.

ارحموا اهالي الشهداء !

وابحثوا عن المميز في رسالة الشهيد

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

10 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 2/54

الارهاق البغيض سيحرمني اليوم من حضور واحدة من فعاليتين (متزامنتين) الاولى في بلدية رام الله حيث يتم ايقاد مشاعل (بعدد الشهداء المحتجزة جثامينهم) في حضرة الشهداء والثانية في يبوس حيث ادب الشباب مفجر الهبة الشعبية.

في الاولى كنت اريد ان اقول اننا لا نحب الموت ولا نسعى اليه بل ان رسالتنا هي الحياة بكرامة وعزة؛ وان الشهداء يرتقون ليعيش الاخرون ويفرحون ويبنون الوطن،وطن الحب والفرح،وطن الكل الفلسطيني

وفي الثانية كنت اريد ان اقول كلمة عن المقاومة بالادب ودور الشباب في قيادة المرحلة في وقت تخلفت فيه القيادة السياسية وتراخت

القيادة التنظيمية عن اللحاق بمسيرة الشباب، وكنت ساتطرق الى دورنا في حماية الطفل من الاعدامات اليومية.

لن اشارك بهذه ولا تلك بسبب القيود الصحية.

لكني اشعر بالفرح،نعم الفرح،لان الشهداء حاضرون في كل مناسبة،شعبية،دينية،ثقافية.

في هذا الوطن الكبير

ما ادفأ الحاضنة الشعبية

ما اعظم شعب الشهداء

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

11 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 55

قالت لي الاعلامية الذكية حد الاستثناء

وما هو الوفاء للشهداء ؟

قلت: ان نقرأ الوصية !

فاضافت مقاطعة: وان ننصت لها ونصغي ونفكر ونعمل..

تلكم هي وصية المحبة والمقاومة والسلام في بلد اختارها الله لتكون وطن الاديان و السلام.

كل جمعة مباركة

وكل ميلاد فرح

#استعادة_جثامين_الشهداء

12 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 56

يرتفع رقم الوحي يوما اثر يوم

حتى اصبحت اخشى الخواء او التكرار

اكتبوه اليوم انتم

فانكم قادرون..

ومن اكثر منكم يملك الدفء والعطاء..

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

13 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 57

زوروا خيام الاعتصام لذوي الشهداء..

هناك لن تشعروا بلسعة برد او قرصة صقيع..

ورب الشهيد ان فيها من الدفء ما يذيب كل "أنا" او جليد..

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

4 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 58

بعد 70 يوما من صقيع الثلاجات

بدأ المستوى السياسي ينظر الينا من ثقب الباب

اما " النواب " فلم ينظروا الينا بعد !!

ربما ليس من اهداف قضيتنا ان يتسع ثقب الباب، او تزول الغشاوة عن اعين النواب..

صقيعهم عن دفء الشعب بفرق

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

15 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 59

اعتذار

في مداخلة لي في ورشة عمل حول حماية الاطفال ساعتذر صباح اليوم للطفل الفلسطيني الذي قتلت أنا احلامه وجعلته ينتفض ليدافع عن طفولته وانا اقف، وما زلت، موقف المتفرج ازاء قطف الزهور في غير أوان...

وفي فعالية لذوي الشهداء والحملة الشعبية بعد ظهر اليوم ساعتذر للبهاء والشهداء لاننا امضينا 70 يوما في طلب الدفء لهم من الذين لا يملكون الدفء اصلا..

الاعتذار شجاعة..

الاعتذار تصويب في العمل..

ساعتذر واواصل

#حماية_الطفولة

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

16 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 60

كلنا في الانتظار

نحن

والقبر

والحنون

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

17 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 61

الضيف الذي كان معي في لقاء مباشر في تلفزيون " فلسطين اليوم " مساء امس، اشار في جملة خارجة عن السياق انه سيكون لوالد الشهيد بهاء " شأن ومكانة شعبية.."

لم اقل له، لضيق الوقت الذي يجب ان يستغل لبث رسائل اكثر اهمية، انه ليس لذوي الشهداء ولا لاحد من الحملة الشعبية،اي هدف او طموح لتولي "منصب " او مكانة رسمية او شعبية، ولم اقل له ان تمثيل ذوي الشهداء هو ارفع منصب يسعى اليه المواطن الحر..

اما وقد قد وهبنا الله وابناؤنا هذا الشرف،

فان كل ما نسعى اليه الان هو استعادة جثامين اولادنا،

وان نجعل من وصاياهم مشاعل نور تبدد ولو بقعة واحدة من العتمة !!

وهذا يجب ان لا يقلق احدا

الا من كان يعشق الظلام !!ا

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

18 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 63

(فرح)

بهاء الميلاد

او ميلاد البهاء

التقيت والد الشهيد ميلاد عياش في يبوس امس..

مازحتنا اميرة القدس رانيا الياس،

وقال صديقنا خالد الغول: جبلان يلتقيان..

اما انا فقد غلبتني دمعة ابلغ من اي كلام حين عانقت رفيقي في القيد والفقد وكل الوجع..

في يبوس امس كان الميلاد العيد والشهيد في غاية البهاء

وكان البهاء كما لو انه في ميلاد جديد

وبينهما الاطفال مع كل البهجة والفرح والحياة

****

19 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 64

فوضى مشاعر

تفرح ذرات تراب الوطن وهي توفر الدفء لجثمان الشهيدة وتعيد النضارة لوجهها..

وتحزن وهي تنتظر استقبال المزيد من جثامين الشهداء بدرجة حرارة 50 تحت الصفر ووجوه اختلفت معالمها لشدة الزرقة..

وتغضب لان معالم الجريمة ستدفن مع الجثمان..

وتقول ان الاحياء الصامتين منا لا يستحقون العيش عليها..

تراب الوطن لا يبكي بل يستقبل دموع السماء

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

20 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 65

(8) لا تهتفوا بمسيرة جنازتي وتتدافعوا، بل كونوا على وضوء أثناء صلاة الجنازة وليس اكثر"

وصية ليست للنسخ واللصق

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

21 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 66

حتى قبل ان نستلم جثامين اولادنا

وقبل تشييعهم بجنازات مهيبة او بعدد محدود

وقبل ان نواريهم التراب وتبكي السماء

وقبل اقامة الخيام والقاء الخطابات

نشكر نحن اهالي الشهداء والحملة الشعبية والفريق القانوني،

جميع من حاول العمل

ومن ادعى بالعمل

ومن امتنع عن العمل

ومن عرقل العمل

من اجل الافراج عن جثامين اولادنا..

ولا بأس ان يكون الفضل بالافراج عنهم، ان تم ذلك، لله اولا ثم لجميع المشكورين اعلاه مع استثناء الشاكرين الذين يعلمون ان هذا ليس انجازا يستدعي الاقتناص انما هو:

#حق_وكرامة

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

22 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية67

دفء الثلاجة

ام صقيع الموقف ؟

يقتلني السؤال

ويقتلني الصمت من حولي اكثر

****

23 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 68

خارج عن السياق

1) سنلتقي اليوم مع عدد من نواب المجلس التشريعي وربما مع بعض ممثلي الفصائل في المحلس.

سارتجل كلمة امامهم وربما اقول انني انا والد الشهيد التقيت مع بعضهم للمرة الاولى والاخيرة في الدعاية الانتخابية عام 2006

وان هذا اللقاء جاء بعد شهرين ونيف من استشهاد اولادنا

وربما اقول انني انا الذي استطيع ان اقول كلاما كثيرا اما هم فعليهم اختصار الكلام بكلمة واحدة " اننا لم نفعل لاجل ناخبينا شيئا"

وربما اذكرهم بعدد الشهداء المحتجزة جثامينهم الذين لن ندعهم نحن هذا الشعب (الناخب) يتحولون الى ارقام.

2) وقبل ذلك سالتقي مع محافظ ووزير القدس ساقول له ان القدس يتيمة وساقول بضع كلمات قد لا تكون دافئة كما تظنون.

3) وقبل وبعد كل ذلك ساكون "ضيفا" على بعض الفضائيات لاقول للمرة المليون ان ابني في الثلاجة لا يزال ينتظر دفء التراب وانني سانصب خيمة بعد 30 من الشهر الجاري لتؤويني من برد الشتاء بعد هدم بيتي

وساقول لكم ان في هذا الوطن متسعاً للمزيد من الخيام فلا تقلقوا علينا وتحزنوا بل كونوا انتم بخير.

صباحكم اذن مثل صباحي مفعم بالعمل والتفاؤل والحب.

****

24 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 69

لو كنت مسؤولا في المجلس التشريعي

كنت ساجمع كلمات ذوي الشهداء امس

اطبعها في كراسة بحجم حجر

اوزعها على كل بيت

اجعلها دستور فلسطين

لو كنت نائبا في المجلس

لتخليت عن هذا المنصب

وتمنيت ان اكون فقط والد شهيد

#استعادة_جثامين_الشهداء

****

25 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 70

في لقاء مع صباح الخير يا قدس صباح اليوم ساقول ان موقفنا هو ان ندفن اولادنا في وضح النهار وبجنازات تليق باشرف الشرفاء؛ وان نعرضهم على لجنة طبية توثق ملابسات اعدامهم، ولكني ساقول ايضا ان

قضية استعادة الجثامين انسانية بامتياز، وتمس مشاعر واحاسيس لا يدركها الا من عاش تجربة الثكل والفقد، وعلينا ان نقف مع كل عائلة تريد توديع ولدها الغالي ودفنه، دون انتظار..

ساقول ايضا ان ذوي الشهداء لن يقبلوا التوجيهات والتعليمات والوطنيات الصادرة من المكاتب بل تلك التي يفرضها الميدان.

ربما سأقول اكثر،

لا ادري.

****

26 ديسمبر، 2015 ·

من الوحي الى العمل 71

صباحكم ثقافة وعمل وعيد وحب وحلم

انا اليوم رايح على القدس

حامل على اكتافي قضايا شهيد

حامل قضية الجثامين المحتجزة في الصقيع وبتنادينا علشان نعطيها شوية دفا.

وحامل قضية الدور المهددة بالهدم وحامل حزن وحامل وجع،

ومع كل هالحمل ظهري ما انحنى ومش رايح ينحني وبمشي بثبات

انا ما بحكي عن حالي، انا واحد من اهالي الشهداء اللي لسا ما تعبوا،

تعالوا اليوم على الوحدة وشيلوا معنا شوية حمل وشوية هم وخذوا من على ظهرنا اشوية قضية.

الحمل لازم اظل مرفوع ممنوع يقع على الارض.

اليوم الساعة واحدة لازم نفرح واحنا شايفين ولادنا دفيانين وبوعدكم اني ما ابكي لان بهاء مش بينكم ورايح افرح لانكم كلكم بهاء الروح والفكرة

****

27 ديسمبر، 2015 ·

من وحي الوصية 72

(العنوان الاخير)

رأيت البهاء امس حول اسوار القدس بأحلى حلة..

فرحت ايما فرح..

وعندما يأتيني الفرح ويذهب الحزن عني (قبل ان يأتي)

تستعصي علي المفردات،

وتصبح الكتابة عسيرة،

فاتوقف لامارس طقسي بالفرح.

بهاء لم يرحل، بهاء الفكرة الخالدة..

(نهاية " من وحي الوصية " التي لم تعد وحيا بل باتت فكرا وثقافة)

في بطن الارض اقاتل كي ادفن ابني

وعلى سطحها سأقيم خيمتي

دافئة هي الارض

في البطن وعلى السطح

#استعادة_جثامين_الشهداء

#خيمة_خيمة_المهم_في_القدس

30 ديسمبر، 2015 ·

البهاء

أتدفنونه بالعتمة

وقد اضاء لكم الوطن

1 يناير، 2016

بهاء عليان اسأت الظن بك، اعتقدت انك تمضي الليلة احتفالاً بالعام الجديد، لم اعلم انك " احتفلت " على طريقتك. كم افخر بك وبصحبك!

****

عن البهاء

في السلسلة القارئة

والمبادرات الشبابية

،،،.....هي القدسُ ذاتُها التي أهديناها أكثر من عشرة آلافِ قارئ.. في سلسلةِ قراءةٍ كانت الأطول والأجمل والأبهى.. هل تذكر حين أخبرتُك عن وصفِ والدي للقائهم الأسبوعيّ في ندوة اليوم السابع كل أسبوع في الحكواتي.. عندما قال لأبيك: نعم ما زال المجانين يلتقون في القدس؟ نعم، ونحن مثلهم. .....،،

عن بهاء في بهائه الدائم (1)

محمود شقير

حين جاءني خبر استشهاده؛ خيّم عليّ الحزن واتجه ذهني إلى بؤس المرحلة، وأيقنت أن بهاء كان يحتج بدمه على هذا البؤس، وفي الوقت نفسه كان يحتج على عسف الاحتلال وممارساته العنصرية التي تستهدف إذلال الفلسطينيين.

رأيته ذات مساء في خيمة العزاء بأحد شهداء جبل المكبر، كان واجمًا يدير حوارًا داخليًّا مع نفسه، ولم أكن أعرف ما الذي كان يفكر فيه. كنت أعرف أنه شاب خلوق محبّ للثقافة ذو نزعة وطنية راسخة؛ وكانت له أنشطة ثقافية واجتماعية متعددة، كان من أبرزها تلك السلسلة القارئة التي امتدت حول سور القدس، وشارك فيها آلاف الطالبات والطلاب وأعداد غير قليلة من الكاتبات والكتاب والصحافيين والإعلاميين ومن أبناء المدينة. انتظمت تلك السلسلة بمبادرة منه ومن شقيقه حسام ومن الإعلامية المربية آية ابراهيم جوهر، ومن شباب المبادرة وشاباتها في جبل المكبر.

وكان بهاء يَعدُ بمبادرات أخرى هدفها تفعيل الجهد الجماعي للناس، هذا الجهد الذي يفعل الأعاجيب إن عرفنا كيف نؤطره وندفعه إلى حيز الفعل والتحقّق العلني خدمة للوطن ومن أجل خلاصه من الاحتلال.

لكنني فوجئت ذات صباح بمبادرته الكبرى التي صاغها بدمه الطهور؛ واتجه ذهني على الفور إلى بؤس المرحلة وإلى عسف الاحتلال، وكتبت:

مما له أهميته؛ الانتباه بشكل جدي إلى الجيل الذي ولد بعد اتفاقيات أوسلو 1993، هذا الجيل الذي لم تقدم له الاتفاقيات المذكورة أي أمل، وما زال يشعر بأن مستقبله ومستقبل بلاده غير واضح المعالم، بسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية وفي القدس، وبسبب انغلاق أية فرصة للتوصل إلى تسوية سلمية عادلة للصراع الفلسطيني العربي الإسرائيلي، والتنكر الدائم لحقوق الشعب الفلسطيني في وطنه.

وتزداد الضغوط على هذا الجيل في القدس بالتحديد جراء ما يتعرض له على أيدي المحتلين من إهانات وإذلال وقمع واضطهاد، وكذلك جراء محاولات تهويد المدينة، وتهديد الوجود المقدسي الفلسطيني فيها، وما يترتب على ذلك من محاولات طمس الهوية وتبديدها، ومن محاولات التخريب المنهجي لحاضر الشباب ولمستقبلهم؛ من خلال الترويج للجنس والمخدرات والعمالة للمحتلين.

غير أن أبناء هذا الجيل، الذي لم يعد يحتمل هذه الأوضاع المزرية، راح يعبر عن نفسه بصراحة متناهية كما أوضحت الهبة الشعبية الأخيرة في تطلع مشروع إلى الكرامة والحرية والأمن والأمان.

وكان الشهيد بهاء محمد عليان من أبرز رموز هذا الجيل.

في حضْرةِ البهاء

آية ابراهيم جوهر

أعيدوا إليّ جُثّتي المُجهدة ولا تُحمّلوها وِزْرَ الأحلام.. اتركوها تبذرُ حقول القمح بالرّيح.. اتركوها قليلا كي تستريح.. لا تدوسوا فوق جسدي النّحيل.. فقد بعثَرَهُ حبُّكم للتفاصيل.. هنّئوه لقد رحل الشّهيد.. عزّوهُ لقد غاب القتيل.. وما بين الاحتمالينِ تجلسُ أُمّي تمسّد الغَيْم تزرع السّماء بالدّعاء.. وتمسحُ عن جبيني غُبارَ الوهْم.. نمْ يا بنيّ نمْ.. لقد تقاتلوا على دمائك.. تقاسموا أشلاءَك.. نمْ واخلعْ احتمالَيْك إنّك في الوطن المُقدّس تُرى.. فلا شيءَ في جيبِك هذا المساء.. نمْ يا صغيري ولا تنسَ إنْ نهضتَ قبلي صباحاً وسبقْتَني إلى نهرِ الغياب، لا تنسَ مصروفَكَ اليوميّ.. والخبزَ الغارقَ بالزيتِ والسّكّر.. خبزٌ بقمحٍ أسمر.. لا تنسَ كتابَك المدرسيّ، وابتسامتَك المغلّفةَ بالشّقاوة، أقلامَكَ أحلامَك وضجيجَك اللذيذ.. ولا تنسَ أن تتعثّر على عتبةِ البيت وأنتَ تغرقُ في صمتِ جدّك الشّارد.. لا تلُمهُ يا بهاء.. إنّهُ يُسبّحُ اللهَ بأسمائه التي يعرفها وبأسماء أُخرى ابتكرها..علّك تعود في المساء.. وتتعثّر على ذات العتبة التي يقتلُها الحنينُ كلّما عاد الشّتاء.

هذا الشتاء الذي سبقْته يا بهاء ورحلت مستعجلاً تزرعُ الغيوم أحلاماً كما اعتدنا في المبادرة*.. كُنّا تعاهدنا ألا نقبلَ بأقلَ من السماء غطاءً لإنجازاتنا.. أذكرُ جيّداً أوّلَ لقاءٍ لنا.. مجموعة شباب صغار في غرفةٍ

مليئةٍ بالغُبار.. هل كان غبار المرحلةِ والوهم، غبار الاتّكاء والشّمّاعات الجاهزة؟ أقولُ: نعم.

حينها شمّرنا عن سواعدنا ونثرنا الأفكار على الطاولات المكسّرة والأرضيّات المغبّرة.. لم نُلْقِ بالاً للفوضى التي حولنا؛ فقد كُنا نظيفين يا صديقي.. نظيفين وطيّبين وحالمين.. قالوا لن تنجح الفكرة؛ فغيركم كثيرون حلموا وخططوا وماتت الأحلام وحُبست في وهم الكلام.. نجحت الفكرة ووُلد الطفلُ الصغير.. مبادرة شباب البلد.. وبدأنا سلسلةَ النجاحات التي ما كانت لتكون لولا العمل والسهر والتخطيط والتنفيذ.. لقد جنّدنا أنفسَنا تحت شعار كَسْرِ المعادلة.. معادلة الخوف والنمطيّة لصورة شباب القدس.. شباب تائهون في لُجّة الاحتمالات في مدينةٍ تلوكُ مصائرنا.. تبعثرنا كلّما قلنا ها قد لُمّ شملُنا فدعونا نحمل حِملَنا.. هي القدسُ ذاتُها التي أهديناها أكثر من عشرة آلافِ قارئ.. في سلسلةِ قراءةٍ كانت الأطول والأجمل والأبهى.. هل تذكر حين أخبرتُك عن وصفِ والدي للقائهم الأسبوعيّ في ندوة اليوم السابع كل أسبوع في الحكواتي.. عندما قال لأبيك: نعم ما زال المجانين يلتقون في القدس؟ نعم، ونحن مثلهم.

ها أنا أنبشُ الذاكرة لا من أجلِ استحضارك بل تأكيداً على حضورك.. بهاء الابن، الأخ، الصديق، المُلهم، الطَّموح، القائد. أكتبُ عنك وأنت الغائبُ الحاضر.. أكتب عن غيابك الهشّ وحضورِك القويّ.. أكتب عنك ولك ولنا.. أكتب لنزدادَ قوّةً.. لنتشبّثَ بالحياة أكثر.. لنُكمل ما قد بدأْتَه.. لنَفهَمَ هذه الدُّنيا ولِنُفْهِمَها أنّكَ ما تزالُ بينَنا

بهاء عليان.. رحيل الجسد وحياة الفكرة

يامن نوباني

عند العاشرة صباحًا بتوقيت القراءة والشهداء، أكثر من خمسمائة من طلبة جامعة بيرزيت، تجمهروا على مدخل كلية الآدب، في انتظار محمد عليان، والد الشهيد بهاء عليان، صاحب أول فكرة لسلسلة قراءة، وعائلة الشهيد مهند الحلبي، التي حضرت بأكملها، تخليدًا لفكرة سلسلة القراءة.

ناشط طلابي صعد فوق حوض زراعة على مدخل كلية الآداب، وأخذ يحشد الطلبة استعدادا لانطلاق السلسلة، دقائق بعد العاشرة، الطلبة يصطفون على الرصيف الطويل الواصل بين "الآداب" وكافتيريا الجامعة، أكثر من 90% منهم "إناث"، يحمل كل مشارك كتابا.

والد الشهيد بهاء تجول على السلسلة، فحيا المشاركين فردا فردا، قائلا: أهمية هذه السلسلة أننا شعب يحب الحياة، لا يعشق الطعن، لكنه اضطر اليه كوسيلة ليحيا، واحياء ذكرى الشهداء يكون بالسير خلف نهجهم الثقافي والاستمرار في احياء الفعاليات الثقافية.

وتحدث عليان، عن أهمية الثقافة في فكر الشاب المقاوم، باعتبارها السلاح الاول الذي يقدر على إعادة ترتيب المجتمع بما يليق به للتحرر

والنهوض، وضمان سلامة نهج المقاومة، حين يعرف المقاوم متى وكيف يستخدمها.

لوحظ في عناوين الكتب التي كان الطلبة يحملونها، أن معظمها انتاج أدبي وفكري فلسطيني، حيث طغت الحالة السياسية والوقائع على الأرض على توجه الطلبة في القراءة، فمالت القراءات تجاه كل الذين كتبوا عن الحالة الفلسطينية، فكان حسين البرغوثي وغسان كنفاني ورضوى عاشور الأكثر انتشارًا بين أيدي الطلبة، وكتاب آخرون عرب وعالميون كتبوا في الثورات والتحرر والانعتاق من عبودية محتليهم.

منسق حملة القراءة، محمد جرادات، قال "إن سلسلة بيرزيت اليوم هي استكمال لما بدأه الشهيد بهاء في باب العامود، هدفها تعزيز الثقافة والتضامن مع ذوي الشهداء".

طالب الهندسة المعمارية، معاذ محمد، رأى في السلسلة فكرة معنوية أكثر منها مادية وملموسة، حيث أبدى استغرابه من انصراف عدد كبير من الطلبة بعد دقائق عدة، منوهًا إلى أن هذه الفعاليات انطلاقة للعديدين ليبدأوا القراءة، وأنها محاولة يجب أن تستمر لما فيها من جمالية في تثقيف الطلبة.

الطالبة رند صافي، تقول: جئت بكتاب "أوراق شهاد حرب" لزهير الجزائري، والتي تحكي المجازر التي تعرض لها أبناء شعبنا في تل الزعتر في

لبنان، هذه الاجواء مناسبة لقراءة معاناتنا واستمرارنا أحياء ومدافعين عن قضيتنا برغم كل ما تعرضنا له.

ساهمت الفكرة ايضًا بخلق علاقة اجتماعية غريبة، جعلت طلبة كُثر يقفون لتحية أهالي الشهداء، ويحتضنونهم، في علاقة عابرة في الوقت، عميقة في الأثر والمدى.

عشرة آلاف مشارك التفوا حول أسوار القدس العتيقة، بدءا بباب العامود في السلسلة الأولى التي بدأها الشهيد بهاء، في اذار 2014، استشهد بهاء في كانون الاول من العام نفسه، واستمرت فكرته، فمئات الطلبة شاركوا في جامعة الخليل بسلسلة القراءة في الأول من شباط الحالي، تبعتها جامعة القدس بسلسلة أخرى في الثالث عشر من الشهر الجاري، واليوم تقوم بيرزيت بدورها في نشر فكرة القراءة والثقافة، لما تحويه السلسلة من إغناء الطلبة فكريًا وجمع آلاف والمئات في مشهد غير مألوف على موائد القراءة دفعة واحدة، بفضل فكرة شهيد ما زال جسده معتقلا في ثلاجات الاحتلال منذ 130 يوما، بينما حلقت فكرته حرة فوق أرض فلسطين.

بهاء عليان.. الشهيد المثقف

يامن نوباني

برز بهاء عليان (22 عاما) من بلدة جبل المكبر، في أوساط الشباب المقدسي مثقفا ومبادرا، مرحا وذا هيئة جميلة، قبل أن يعدمه الاحتلال الإسرائيلي بالقدس في 13 تشرين الأول 2015.

استشهد من أحاط أسوار القدس وشوارعها بآلاف القُراء في آذار 2014، وبعد عام على مرور هذه الذكرى، كتب بهاء، في 16 آذار 2015: 'في مثل هذا اليوم تعرفت على 10 آلاف فلسطيني مثقف'. هذا الحشد ما كان يحصل في مدينة يعمد الاحتلال على خنقها وقتل الحياة فيها، لولا إصرار شاب في بداية العشرينيات من عمره على تأكيد هويتها العربية والإسلامية.

'بهاء شابّ طموح، أحبّ الحياة وانغرس في العمل التطوّعي سعيا منه لوضع بصمته في هذه الحياة. لم يحالفه الحظّ بالالتحاق بالجامعة، لكنّه كان أكبر من مقررات الجامعة وأوعى من شهادات عُليا. فسعى إلى تطوير نفسه في تصميم الملصقات والمنشورات، وحجز لنفسه مساحة كبيرة بين المصممين الشباب. وتمكن من افتتاح مشروعه الخاص (مطبعة البهاء) قبل عامين، والتي شكّلت له ميدانا للإبداع والتفرّد؛ فقدّم تصاميم مميّزة وخرج بأفكار خلّاقة كان آخرُها (مجموعة البهاء الشبابية)، وكانت نيّتُه أن تكون مجموعة شبابيّة فاعلة تُحيي المناسبات الاجتماعية والثقافية في

القدس؛ لكنّ النيّة لم تتحقّق!، تقول الشابة آية جوهر من القدس. وتضيف: القدس بالنسبة لبهاء هي الحُلم، الحضن الدافئ، المكان الأوّل؛ فقد فتح عينيه وهو فيها، وحصد نجاحاتِه فيها وحُصدتْ روحُهُ فيها. عمل كثيرا من أجلها وشارك مع (مبادرة شباب البلد) في تنظيم (أطول سلسلة قارئة تحيط سور القدس)، فشكّل مع أصدقائه خليّةَ نحلٍ لم تتوقّف عن العمل على مدار شهرين كاملين؛ فقد أنجز فيهما الشيء الكثير من جمع التمويل اللازم وتصميم الملصقات والبلايز، وترتيب الأفكار وجمع المشاركين وتنظيم السلسلة بالتعاون مع (كشافة جبل المكبر). وتابعتْ: ذهب بهاء تاركا وراءهُ حياةً مضيئة وأحلاماً كثيرة كان يرغب برؤيتها تتحقّق، لكنّه اختارَ حلما أجمل وأكثر فاعليّة، وقد اعتدنا عليه يحلم ويخطط وينفذ بصمت، وإن وجّه له أحدٌ ما الشكرَ على مجهوده كان يقول دائما: 'أنا لم أقم بشيء، اشكروا فلان أو فلان.'

بهاء لم ينم في العدوان الأخير على غزة، والذي استمر 51 يوما، وراح ضحيته أكثر من 2200 شهيد، تقول عرين خليل من حي الطور: كان يدق على البيوت لجمع المعونات لأهل غزة، ولم ييأس حين كان البعض يرُده خائبا، سانده كثيرون، وجمع شاحنة مساعدات برفقة أخيه حسام ومبادرة شباب البلد، اضافة لجمعه التبرعات للفقراء في رمضان والأعياد للمحتاجين .

كتب بهاء وصاياه العشر، وأبرزها ألا يتبناه فصيل، وألا يحزن أحد على استشهاده، وألا يُعتبر رقما، موصيا بالمحبة بين الناس، وألا يُرهق أهله بالأسئلة، فاستشهاده كان للوطن.

'جاءت وصايا عليان منسجمة وواعية، أرسى بها قواعد وأسسا للحياة بكرامة ومسؤولية، وأن الشاب الخلوق الخجول المرح الذي لعب دور المهرّج ليدخل البسمة إلى قلوب الأطفال، صاحب التصميم الفني ومطبعة البهاء وقائد الكشافة، قرر أن يقاتل حقل الأشواك'، يقول الكاتب المقدسي إبراهيم جوهر.

ولأن الرصاصة تقتل الجسد، لا الفكرة، سارع شبان وفتيات القدس للدعوة إلى تنظيم 'سلسلة القراءة' بشكل سنوي، تكريما لروح بهاء. فقبل أن يستشهد، زرع في عقول المقدسيين واجب القراءة وعشقها، وحراسة الوطن بالعقول.

لاحقا بمن سبقوه من شهداء القلم والكلمة والفكرة، قام بهاء شهيدا، مستجيبا لدعوة الشهيد الأديب غسان كنفاني: لك شيء في هذا العالم، فقم.

في ثقافة الحياة

،،... ها هي سيمفونية الأمهات تعلو وتعلو، والوقت نهار للأمهات. ونحن أمّهات: لسنا أبطالا، لا نتسابق على التقاط الصّور. نحب النّهار وأبناءنا والحياة، نحب البحر والنّهر نحب البلاد والأطفال، ونحفر بدمعنا معنى للصّبر...،

الى بهاء في بهائه الدائم(2)

محمود شقير

1

كتبت:

لا عقل للمحتلين؛ وإلا لاعتبروا من مصائر احتلالات بائدة.

وبهاء محمد عليان وغيره من الشهداء الشباب هم رمز لجيل ما بعد اتفاق أوسلو، جيل خيبة الأمل، الباحث عن الحرية حين لم تمنحه المفاوضات العبثية، طوال عشرين سنة، حرية وكرامة.

الجيل الباحث عن الكرامة والحرية حين راح المحتلون يمارسون الغطرسة عليه، يمتهنون كرامته ويسدون الأفق أمامه، ويمارسون عليه إذلالاً ما بعده إذلال. فما الذي يفعله هذا الجيل سوى الدفاع عن معاني الحرية والكرامة ولو بأبهظ الأثمان؟!

2

وتذكّرت واحدة من مبادرات بهاء وحسام وآية وبقية الشباب والشابات وكتبت:

هذا المساء، أضاف شباب وشابّات جبل المكبر بعدًا جديدًا للخيمة الفلسطينية.

اعتدنا على الخيمة باعتبارها فضاء للأعراس، أو لتقبّل العزاء في عزيز، أو للتهنئة بخروج أسير من سجون الاحتلال.

هذا المساء، وأمام جمهور كبير من النساء والرجال ومن الشابّات والشباب، احتفى فضاء الخيمة الفلسطينية بالثقافة والفن على نحو لافت للانتباه.

كلّ الشكر والتقدير لشابّات جبل المكبر ولشبابه، ودائمًا إلى الأمام.

3

وكتبت:

يهدمون البيت في الطقس البارد، في غبش الفجر
ويحتجزون، مع جثامين الشهداء، جثمان الشهيد بهاء.
والطائرة تلوب في السماء، وعلى الأرض جنود يحرسون الخراب.
لكنهم
لن يدمروا إرادة الإنسان.
محمد عليان، والد الشهيد بهاء
أشدّ على يديك.

4

وكتبت:

يهمي المطر على البيوت والساحات والشجر
وعلى النساء اللواتي يمشين في الطرقات.
والجثامين، جثامين الشهداء تصغي بانتباه
إلى النداء، نداء المطر؛ وتنتظر الخلاص.

5

وكتبت:

كل المساندة والتأييد والتقدير للكاتب المحامي محمد عليان؛ والد الشهيد بهاء فلسطين؛ الذي يقود حملة المطالبة بتسليم جثامين الشهداء، من أجل رفض الشروط الإسرائيلية المجحفة، ولضمان دفن الشهداء بكرامة، وبما يصون حقهم في جنازات شعبية لائقة.

كل التقدير لذوي الشهداء المنضوين في الحملة، والمجد والخلود للشهداء.

6

وكتبت:

لم يقتصر عسف المحتلين على إلحاق الأذى بالجيل الجديد في حياته، وإنما في مماته كذلك؛ وإلا فما معنى احتجاز جثامين الشهداء في ثلاجات الموت؟! وما معنى حرمان والد بهاء ووالدته من دفن شهيدهما وشهيد الشعب كله بكرامة وفخار؟! ما معنى احتجاز جثامين عشرات الشهداء؟!

وحين تمّ الإفراج عن جثمان الشهيد بهاء، ظل العسف الاحتلالي القبيح ماثلاً في المشهد الحزين، حيث لم يحضر دفن بهاء سوى عدد محدود من الأهل والأقارب بتعليمات مشدّدة من المحتلين، ولم تتمكن الحشود التي تقاطرت على القدس، وعلى ساحة باب الساهرة بالتحديد، من المشاركة في الجنازة المحاطة بحرّاس مدججين بالسلاح؛ غايتهم حرمان الشهيد من لحظة احتشاد الناس بالآلاف المؤلفة من حوله تعبيرًا عن الحب والوفاء.

دفن بهاء في مقبرة باب الساهرة، وبعد أيام من دفن جثمانه الطاهر ذهبت إلى المقبرة. كان الصمت يخيم على قبورها، وكان بهاء هناك ممعنًا في الهدوء وفي الصمت بعد أن قدّم للوطن أغلى ما يملكه: روحه ودمه؛ وكانت وصيته التي خطّها بمداد قلمه قبل استشهاده تتكلم نيابة عنه، وتنتشر في المدى الواسع وسع الوطن وقلوب الناس.

كتبت وأنا أتخيل امرأة صحافية من بلد شقيق متعاطفة مع الشهداء؛ وهي تسير إلى جانبي:

كان ثمّة صمت، ثمّ كان كلام.

قلت لها ونحن نمشي في شارع مضاء: كنت أعرفه قبل أن أقرأ وصيّته.

سألت بانفعال: وكيف كان؟

قلت وأنا أرنو نحو الفضاء: كان فتى بهيًّا غضّ الإهاب، وكانت له سيماء فنّان، لكنّه غاب قبل الأوان.

قالت بابتهال: إنّه الشهيد، له بقاء الذكرى، وله البهاء.

في تلك اللحظات: تكاثرت الغيوم في السماء وانهمر مطر غزير طوال ساعات.

7

وكتبت:

قلت لها وأنا أتحاور معها في مساء آخر: كما ترين، فهذا الأفق ملبّد بالغيوم.

وقلت: تعالي لنمشي معًا، يدًا بيد، إلى بهاء البهاء؛

لعل غدنا يكون أجمل.

قالت ونحن نقترب من ضريح البهاء: نعم؛ لعلّ غدنا يكون أجمل.

هناك؛ قرب الضريح قرأنا وصيته واعترانا أمل.

نعم؛ أملٌ أملٌ أمل.

8

المجد والخلود للشهيد بهاء؛ ولكل الشهيدات والشهداء

الذين ضحوا بأرواحهم وبذلوا دمهم من أجل الخلاص من الاحتلال؛ ومن أجل الحرية والعودة وتقرير المصير والاستقلال.

***

إلى بهاء عليان في ثلجه الطويل

خالد جمعة

غداً، سيجلس قاضي المحكمة على كرسيّه العالي، سيكون قد شرب القهوة في الداخل، وغسل وجهه، وألقى نظرةً على ملفات القضية، على الأغلب على ملخصاتها، ولن يفهم بالطبع لماذا يصر الفلسطينيون "السذج" على استعادة جثامين شهدائهم، وسيضحك في داخله، فيما أهالي الشهداء يحترقون، ولن يفهم لماذا يضيعون أوقاتهم في الجري وراء قضية من هذا النوع.

سيخرج له صوتك من الثلج، صافياً ونقياً وعميقاً ودافئاً ومليئاً بالثقة، لتقول له ما لا يطيق سماعه، أسمعك جيداً عزيزي بهاء، فأسئلتك للقاضي لا أجوبة لها.

رأيته يزم شفتيه حين سألته لماذا تطارد إسرائيل عظام رون آراد، منذ عام 1982 إلى اليوم ما دامت استعادة الجثامين لا معنى لها... وكان يضرب الطاولة بارتباك بطرف قلمه حين سألته لماذا إسرائيل تدعي ملكية قرية كاملة حين تعثر فيها على عظمة ساق يهودي قد يكون أكله ذئب في مكان بعيد عن مكان وجودها...

عشرون سؤالاً أخرى ستعلق في فضاء المحكمة، ولن يجيبك القاضي على أي سؤال منها، ليس فقط لأنه لا يملك إجابة لها، ولكن لأنه كذلك لا يعتبر أن من حقك أن توجه الأسئلة إلى قاض يوافق على وجود جثامين

الشهداء في الثلاجات، سيحترق، فيما صوتك سيعود إلى ثلجه سعيداً بأنه أربك القاضي ودولته وتوراته وجيشه وقوانينه.

يوماً ما، قريباً، أو بعيداً، ستكون لك جنازة كجنازات الشهداء، ستخرج من ثلجك أكثر ألقاً، ميتاً نعم، لكن بورود كثيرة حول نعشك، وبروائح صندل وأخشاب زيتون وبرتقال تحيط بك من كل اتجاه، وسيتسابق المشاركون لحملك، وسيحدثون أصدقاءهم فيما بعد، حملنا نعش بهاء على أكتافنا، حملنا نعش ذلك الذي خرج من ثلجه لكي يحرج الرواية كلها، من أول التاريخ إلى الآن.

***

إلى محمد عليان، والد الشهيد بهاء عليان

خالد جمعة

على خجل يا سيدي أكتب لك، فلأكن صريحاً معك منذ البداية...

دائماً كان الشهداء . وما زالوا . يضعوننا في مأزق أخلاقي، فنحن نستطيع أن نكتب ما يجعل الناس يبكون عليهم، نستطيع أن نصف ونحن جالسون وراء مكاتبنا لحظة سقوطهم، مشاعرهم، الألم الذي أحسوا به، "لسعة النار في الحشا" كما يقول أحمد فؤاد نجم، نكتب، ثم يأتي شهيد آخر فنحاول أن نعيش مع أمه وحزنها، مع أصدقائه وما يقولون عنه، لكننا في النهاية نمضي لنعيش الحياة، وهم يتوقف بهم الزمن عند لحظة الرصاصة تلك، قد تعيش كلماتنا، وقد تموت، لكنهم في النهاية هم من قدم أغلى ما يملك لأجل قضية يؤمنون بها، قدموا حياتهم، لا أموالهم ولا كلماتهم، حياتهم، أنفاسهم، نظرات عيونهم، دقات قلوبهم، لا شيء أقل.

كنا نتساءل دائماً عن الظرف الذي تربوا فيه، ولماذا يستقبلون الموت الذي هو نقيض الحياة بكل هذا العنفوان، بك سيدي عرفت كيف يمكن أن ينشأ مثل بهاء، حين تنسبه إلى فلسطين، حين تسميه بهاء فلسطين، حين ترفض أن يطلق عليه أي اسم آخر، صرت أعرف كيف يمكن أن يتربى ولد على أن يكون مثل أمراء الحكايات، ليس وسيماً فحسب، فكثيرون هم الوسيمون، وليس مؤمناً فحسب، فكثيرون هم المؤمنون،

وليس عاشقاً فحسب، فكثيرون هم العاشقون، بل كائن يستعيد زمن الفروسية الأول، لم يكن بحاجة إلى شيء غير لحظة حرية يتنفسها دون أن يرى جندياً يدوس أرض مدينته، وأنت سيدي علمته كل هذا، علمته أن يغمض عينيه ويحس بالتراب يتنفس ويئن ويضحك ويشتكي وينثر لغته على أقدام بهاء، علمته أن يقرأ لغة الحجارة التي جلست هناك لمئات السنوات دون أن يفهمها أحد، علمته قوة العشبة الخضراء حين تشق صخرتين وتخرج من بينهما بوردة صفراء تطل على استحياء بعد أن اجتازت التاريخ وعبرت إلى الهواء الذي يحيط بجلالة المشهد. أقبل يديك اللتين مسدتا رأس بهاء يوماً، عينيك اللتان بكتا في صمت بعد أن انصرف المعزون، قدميك اللتين ارتعشتا قليلاً في طريق المقبرة ...

ذاك البهاء

سما حسن

لا يمكن أن يتخيل أي انسان مشاعر الأم حين تفقد ولدها، حين يسقط شهيدا على أرض الوطن، حين يصلها النبأ وهي في البيت لم تنه ترتيب سريره الذي تركه دافئا، ولم تحدد بعد صنف الطعام الذي ستعده له على مائدة الغداء حتى يصلها خبر ارتقائه شهيدا.

لأنني أم مثل باقي الأمهات تخيلت مشاعرها وطلبت لها الصبر والجلد ولكني لم أتخيل مرة مشاعر الأب، فقد كانت أمي تقول: دمعة الرجل عزيزة بمعنى أنهم لا يظهرون مشاعرهم، كما كانت أمي تقول: الرجل يحبل وما بيولد بمعنى أنه يستطيع أن يخفي مشاعره حتى يقضي صريعا لها؛ وتقصد مشاعر الحزن والغضب.

رأيت فيما رأيت من مشاهد الآباء والأمهات في مواقف الوداع والتأبين أب أحد الشهداء وهو محمد عليان الكاتب والمحامي والذي تعرفته اول مرة حين كتب نقدا لمجموعتي القصصية الأولى، ثم اكتشفته انسانا دمث الخلق واسع الثقافة وطويل البال حين طلبت منه مداخلة ضمن تقرير ثقافي كنت أعده قبل حوالي عامين، ولكني لم أكن اعلم أنه والد بهاء عليان الذي استشهد مؤخرا والذي تعرفته ايضا كصحفية حين اجريت معه لقاء قصيرا حول دوره الفعال في تنظيم فعالية " أطول

سلسلة بشرية قارئة حول القدس" والتي كان يطمح من خلالها أن تدخل موسوعة جينيس.

فاجأني بهاء بثقافته وحبه للقدس وغيرته عليها وعلى تاريخها، ورغبته في القيام بأي نشاط مهما كان صغيرا من أجل أن يحافظ على عروبتها وهويتها، وانتهى لقائي بالأب وابنه حتى علمت خبر الاستشهاد ورأيت من خلال مواقع التواصل الاجتماعي صورة للأب محمد عليان وهو يقف بجوار لافتة ضخمة كتب عليها الوصايا العشر التي تركها الشهيد بهاء.

رأيته كما كانت تقول أمي دمعته عزيزة وهو بالكاد تحمله قدماه، رأيت في عينيه نفس نظرة الأم الثكلى، فقد كانت هناك لوعة الفقد تلمع وتخبو في عينيه ولكني كنت أعلم أنه يتركها ويطلق سراحها حين يختلي بنفسه.

بهاء عليان الشاب المثقف الذي قدم نفسه ليفجر ثورة؛ لم يكن شابا فاشلا ولا جاهلا، ولكنه كان مثقفا ومهذبا وحالما، ولذلك فقد أعرب المحللون الاسرائيليون عن استغرابهم أن يقدم امثال بهاء على عمليات طعن وقتل تودي بحياتهم، وهم لا يعلمون أنه يفعل ذلك ليترك رسالة واضحة وعميقة لمن بعده؛ وهي ان الوطن لا يقبل إلا المميزين.

حين رأيت مشهد الأب عليان المتماسك تذكرت ما كتبه المنفلوطي في رثاء ابنه حيث قال: بكى الباكون عليك ما شاءوا وتفجعوا ما تفجعوا حتى اذا استنفدوا ماء شئونهم وضعفت قواهم عن احتمال اكثر مما احتملوا لجأوا إلى مضاجعهم فسكنوا اليها، ولم يبق ساهرا في ظلمة هذا الليل

وسكونه غير عينين قريحتين، عين أبيك الثاكل المسكين وعين أخرى أنت تعلمها..

***

حرب الصورة بين أبطال البغاء وأبطال السماء

لينا أبو بكر*

هناك، حيث الألف ليلة وليلة من الليالي الإعلامية، التي تتصبب منها لذائذ المحرمات الجنسية، يصبح الانحراف أسهل طريقة للاختطاف، فكيف تحمي شرفك، في زمن يكون فيه معيار الشرف الوطني: ممارسة البغاء والتفنن بالفحشاء، وإباحة الرذيلة لإسقاط الأعداء، وإنتاج برامج وأفلام كفيلة بإفساد البشرية جمعاء، من خلال بروتوكولات صهيونية تحث المرأة على التفريط في عفتها، استجابة للنمط الإعلامي الفرويدي، الذي يفرغ النفس من الأسس الأخلاقية للعقيدة الإبراهيمية، بالتالي إشاعة نمط لا قيمي، في مجتمع مصاب بأمراض الحضارة الصهيونية، التي تضعف المروءة، وتشوه الأديان؟!

إنها الغرائز الشيطانية، تنغمس الأمة في مستنقعها الدعائي، وتغرق في شهوانيتها الرخيصة، وفنونها القذرة، لتفرط بوعيها، وحدسها النضالي، فتعيش تغريبا إعلاميا وثقافيا مهينا، تستجيب به لعوامل الضغط الغوائية على رغبات ونوازع المشاهد، في سبيل القضاء على كرامة وشرف الشعوب، بأرخص النفقات والتقنيات والاستراتيجيات، وقد سجل كتاب «وجه المرأة»، لابنة قرصان الهاجاناه موشي ديان، فضائح المستوى المتدني للمرأة الإسرائيلية، التي تُعامل معاملة الجواري والغانيات، حيث كتبت تقول: «الفتاة الإسرائيلية تستطيع أن تعيش مع أربعة، وأن تعاشر

عشرين، ولا يجوز أن يتشاجر اثنان من أجلها»! وهو تكتيك حاخامي، استعان بكأس وغانية ومشروع إباحي، لاختطاف ضمير ووعي الأمم المعادية، ومن عاد لأصول الاختراق الأخلاقي في عقيدة بني إسرائيل، وتحديدا في سوق بني قينقاع – فرع المدينة المنورة، مستعيدا بعض الروايات – غير الموثقة – عن المرأة المسلمة التي تعرضت للتحرش من تجار اليهود – ما أسفر عن حصارهم وطردهم – يصدق فلسفة «الشجاعة المقدسة» كإيديولوجيا صهيونية، لإيقاع الخصوم، بالإثم والممارسات المنحرفة، حتى لو اضطرهم هذا للتحالف مع الشيطان!

صورة البطل بين الثراء والرثاء

لنتفق أولا، أن هذا الزمان رخيص إلى الدرجة التي يصبح فيها الخائن نموذجا عاما، والبطل استثناء، ولنتفق أيضا أن الخيانة تبدأ من الأفكار، فمن يتفاعل فكريا مع البضاعة الإعلامية «الإباحية» للعدو، يخون وعيه وضميره وأخلاقه، وتراثه، ليصدق المثل: (الجدود ناموا والقرود قاموا)، مع العلم أن الخيانة كالهلاك أو الموت، لا رجعة منه، ولأن «ديانك سيدك حتى تفيه»، فإن السداد عار، طالما أن عدوك يستدين منك شرفك! تأمل هذا قليلا وأنت تتذكر سؤال مجلة «التايم» منتصف القرن الفائت: هل مات الرب؟ ثم عد للامبراطوريات الإعلامية المدججة بالتمويل الضخم، والأسماء الرنانة، التي تُخرج أبطالا إعلاميين، يلمعون على الشاشات وفي البرامج ومواقع التواصل، ولكنهم خارجها خواء، فارغو

الذهن، وعبثيو الغايات، اهتماماتهم الرخيصة هي همهم الأعظم، من ثراء وأبهة وفخامات استعراضية هشة، تضعهم على قائمة المشاهير والأبطال والإطارات المذهبة، في الوطن العربي المريض بصورته!

حسنا إذن، إعادة تدوير الإنسان، في الإعلام، تحوله إلى آلة بلا أخلاق، أو صورة بلا روح، حتى العلماء يصنفون عبيدا، عندما يرتبط علمهم بالمنطق السلطوي، وهو ما حدا بأحد المفكرين لاعتبار آينشتاين عالما برتبة عبد لروزفلت، فهل بعد هذا تستغرب من ازدهار الخيانة؟ الكذب دائما يحتاج إلى نفقات هائلة، ليتم ترسيخه كثقافة إعلامية، وبضاعة رائجة، بينما لا تحتاج الحقيقة سوى إلى وعي إعلامي يشتغل بإمكانيات متواضعة، وجنود لم تروها، مجيشا الشهداء وأبطال السماء، للوصول إلى الحق في سدرة منتهاه، فماذا بعد؟

حرب البغاء

لأن الزمن العربي مهزوم ومأزوم، ومكلوم وملكوم، ومحشور كشجرة تفاح أثوم، بين الغرقد والزقوم، فلا جناح على سواه بما اجترحه، ولذلك لا تذرف عيناك أسفا على تقرير «العربية نت»، عن الموقع الإباحي الإسرائيلي: «باربر» الذي انطلق عام 2000، وجمع مئات من المهتمين العرب من الشرق الأوسط بهذا النوع من العروض، كأسلوب ودي لتحقيق السلام بين العرب واليهود!

مدير الموقع «شي مالول» عبر عن سعادة عمره، حيث حقق حلم حياته بجعل إسرائيل حالة استثنائية، تحول الجنس إلى ممارسة طبيعية، ومادة فنية متاحة، وتقدم خدمات فريدة عبر أجهزة الجوال، باشتراكات مالية، ومتصفحين بعشرات الألوف في اليوم الواحد، لكن الخبير الفلسطيني بالشؤون الإسرائيلية، سمير قديح، اعتبر أن «مالول» سمسار، يسعى لتحقيق أرباح مادية، لا لصناعة السلام، مؤكدا أن هذه المواقع تعمل تحت إشراف مباشر من المخابرات الصهيونية التي تسعى لتجنيد ذوي النفوس الضعيفة من الشباب ضمن ما يسمى «عمليات الإسقاط «، وما ينتج عنها من ابتزاز وتهديد. فهل لك أن تتخيل كيف يمكن لحرب البغاء الناعمة هذه، أن تختطف أمة من قضاياها الشريفة والسامية، فتحول شبابها إلى جواسيس وجنود للقذارة، تحمي بهم كيانها المنحرف، عارُ مَن هذا؟ ومن هم اللقطاء: الخونة أم الأعداء؟

فرسان السماء وبث مباشر من الجنة!

الفنون القتالية في اليابان، رياضة وطنية رفيعة، والساموراي طبقة وراثية للمحاربين من سلالة الأشراف، فرسان التاريخ الذي يلتزمون بقواعد الشرف وقانونه المعروف باسم «طريق المحارب»، في مراسيم انتحار احتفالي، يحدده قدرهم في المعارك التي يخوضونها، باعتبارهم أسياد الحرب، وقادة النهوض بالأمة، ونخبة تشريفاتها العسكرية والاقتصادية، لا يتفوق عليهم كذخر ثقافي أسطوري سوى «فرسان

السماء، شهداء فلسطين»، الذين لا يحتاجون إلى أداء معجز، أو خارق أو مستحيل، لتحقيق قاعدة الشرف الأسمى: الخلود، إنما يحتاجون فقط لمعجزة إلهية هي: الجنة، حتى وإن لم تستطع الكاميرا التقاط المشهد الاحتفالي الأخير، لمعراجهم الجماعي نحو الملأ الأعلى!

بهاء عليان، قائد أطول سلسلة قراءة في تاريخ البشرية، أحاطت بأسوار القدس، قرر أن ينضم لجيش الشهداء في السماء، فترك وصاياه العشر، رافضا أن تتحول الشهادة لمادة إعلامية تستعطف المشاهد باستغلال مشاعر أم الشهيد، ومحطما القيمة الرقمية التي تصهر الجوهر الحقيقي للتضحية، وحملة البوسترات والتي شيرتات الدعائية، موصيا بحكواتي فلسطيني، شهيد أيضا، يكتشف الأطفال وطنهم به ويموتون لأجله لا انتقاما من عدوه!

البهاء، ظل على قيد الحلم، لأنه ابن قلم، فأبوه كاتب من الطراز الرفيع، صرح لقناة إيلياء الإخبارية، بأن أقسى لحظة يمكن أن يعيشها الأب هي لحظة دفن ابنه، ولكنها بالنسبة للفلسطينيين، الذين تحتجز جثامين أبنائهم في الثلاجات، لحظة فرح غامر، لأنها لحظة الحقيقة واليقين، والراحة الخالدة في بيت الأبد، بما يتيح لذويهم إتمام الحلم، لا قطعه، طالما أن الشهيد فكرة، والفكرة لا تموت!

انظر إلى هذا البث الحي من بيت الجنة، فهنا شهداء يحررون الوطن من دار السماء ويدافعون عن حياضه بحياتهم، ليس لأن حياتهم رخيصة، بل لأنها إبداعهم الأثمن، الذي لا يُغلونه على الوطن، رغم القهر والعذاب

والحرمان، إنهم فرسان حقيقيون، يحتفلون مع الملائكة والأنبياء بانتصارهم على عدوهم مرتين: الصمود والخلود، أما جنود التيه، لقطاء المواقع الإباحية، فإنهم قادرون على حماية العدو، ليس بقوتهم إنما بضعفهم و استسلامهم لشهواتهم، لأنهم حراس القذارة، وجنود الدعارة... وشتان بين الرياضة الوطنية: الشهادة، والرياضة الجنسية: الخيانة! ابحث دائما عن الأداء، تجده سريا في الحالتين، لكنه في الحالة الأولى، بين الشهيد وربه، وفي الحالة الثانية بين الإباحي وشيطانك، ولك أن تختار قمرك: جنة الشهيد أم عورة العبيد!

*كاتبة فلسطينية تقيم في لندن.

إلى الباقي فينا ومعنا

ابراهيم جوهر

1

نحن بـ "خ" يا بهاء لا تقلق كثيرا علينا: نواصل حياتنا، ننكّس رؤوسنا، ننتظر الفرج، يدعو خطيب المسجد الله أن يحرر البلاد، وأن يقضي على أمريكا ويجلل بيتها الأبيض بالسواد، ونحن من خلفه نردد: آمين. لا تقلق، فنحن بكل الـ "خ": والـ "خ" هنا قد تعني الخير أو الخراب أو الخروب. أنت الكل في واحد: سلّم على رفاقك المنسيين إلا من رحمة الله وذويهم الأقربين. قل لهم: زرع ناس بلادنا "خاء" فأثمرت خرابا، والحمد لله أننا لم نشهد الزرع ولا المزروع... ولكي لا تصلك الصورة معتمة تحمل القتامة أستدرك لأخبرك: انتشرت فكرة السلسلة في البلاد وعلى التخوم. صار الناس -ليس كلهم- يعشقون القراءة، وروحك ترفرف بحب ترعى الشباب وهم يواصلون بذر البذار. نقول: آمين، آمين، فهل سيغلب بذار الفكرة ثقافة الـ "الخاء"؟

2

رسالة إلى صديقي محمد خليل عليان الذي نشر صورة الشهيد "بهاء" وهو يقرع طبل الكشاف: على من تقرأ مزاميرك؟ لمن تقرع طبولك يا صديقي؟ كثرت "طبولنا" وهي لا تنتظر قارع الطبول ولا تحب ديكة الصباح المبّشرة بفجر جديد. هي مرحلة: مرحلة من رماد، ورمل، وفقاعات صابون. يغرق "القارع" الحقيقي في عبثها حتى يكتشف هشاشتها فيعود إلى ذاته الصادقة محذّرا أهله وناس البلاد فيبدأ يقرع، ويغرق فيها "قارع" سن الندم فيظنها بحرا وبساتين جمال وأحلام فيواصل "العوم" و"التجديف" ليكون مثل سفينة تجري على اليبس! اقرع طبول كلماتك يا صديق الوجع والحياة، ولا تلتفت لقارعي أسنان الندم بعد حين أراه قريبا. "قرع" عن "قرع" يفرق..

3

إلى محمد خليل عليان: لا تُلقِ المجدافَ لا تكسرِ الأقلامَ، لا تيأسْ ففي غدٍ قريبٍ ستفيقُ الحروفُ تعاتبكَ: لِمَ تركتَ العزفَ؟ لِمْ أسلمتَ الدّفة؟ واصل تضميدَ الجراحِ بقلبٍ تدرّبَ على العضّ على الجِراح ولا تيأسَنْ فها هم محبّوك ينتظرون خلفَ النافذةِ أضاميم شقائقِ النُّعمان التي عوَّدْتَهم على تلقِّيها مع قهوة الصباح.

4

عد فقد طال الغياب: - طلبات الهزيع الأخير من ليل طويل- لِمَ كل هذا الغياب؟ عُدْ، أيها الغافي في حضن الغياب/العذاب/ اليباب فقد عادت روحك وأزهرت في الغمام. حملتها دِيَمُ االسّماءِ وطافت بها فوق الروابي وتفاصيل البلاد فعد لقد طال الغياب، وهطلت الروح على شكل بحر وزهر وبلابل وأطفال. على هيئة كتاب ودفاترَ وأقلام ألوان: خضراء وصفراء وحمراء. بينها ما هو بلون البنفسج ولون الحياة. فعد: لِمَ كلُّ هذا الغياب؟ عادت الروح فصارت نسيجا في روح البلاد. عُدْ، أيها الغائب في ثنايا روحنا وذاكرة أطفالنا فها هي ساحاتنا تهيَّأت لتصير بيادر وها هم المنتظرون يواصلون الانتظار. عُدْ.

5

اليومَ "إجازة" فلا تكتبْ: كَتَبَ إليّ بما يشبه الاعتذار: "لم أستطع ان اكتب البهائيات فأنا مشتّت الذهن كثيرا". لا تكتبْ لـ"بهائنا" الكابي في ليلِ الانتظار فالبهاءُ كتبَ بمداد الروحِ على قبّةِ السماء واختفى الجسدُ في الغيابْ. لا تكتُبْ فالمطرُ كتبَ وها هو الربيعُ بألوانهِ يحاورُ البهاء كلَّ صباحٍ كلَّ وقتٍ فتبتسمُ السماءْ. نحنُ انقرضت هيبتُنا مُذْ لَهثْنا على سكّةِ الفناءْ والربيعُ يواصلُ اخضرارَ دمِهِ في أنحاءِ البلادِ المعطّرةِ بروحِ البهاءْ. لا تكتبِ اليومَ فاليومَ –عنك- ستكتُبهُ دموعُ السماءْ.

6

ثقافة الحياة: ثقافة الوطن- هذا ما تبنّاه المناضل الشهم محمد خليل عليان والد البهاء وهو يواصل نشر ثقافة الحياة بمحبة ولغة جديدة وألوان فرح يستحقها أبناؤنا وبناتنا ممن تضيق بهم فضاءات الحياة والحرية. أن يكون للحياة ثقافة، وأن يكون للأحلام ثقافة يعني أن تسعى الأجيال بوعي وبصيرة لتصير الحياة أكثر جمالا. لم يحاصر الفقد هذا الرجل الصلب بل سار على دروب الحياة ليبني حياة لأبناء وطن منكوب بالموت والفقد والقتل والظلم. وإنها - لعمري - مسؤولية يواصل حملها على كاهله المتعب وستسجل له في سفر الحياة والحرية والانتماء الذي يعني العطاء.

7

ما طلبه "المعتز" من والدته هذا الصباح: أريد حقيبتي وأقلام التلوين يا أمي. أريد كتبي ودفاتري ورسائل أعددتها ولم أضع اللمسات الأخيرة عليها بعد. جهّزي فطوري وزوّادتي لهذا اليوم فأنا على موعد مع الأصدقاء: سنخرج في جولة نجول البلد ونتفقد الجبل والناس لأنني أحمل أمانة من "بهاء"، حمّلني سلاماته وشوقه للقدس والسور والناس، و"السلام أمانة" يا أمي كما تعرفين. لن أطيل الغياب. جولة قد تأخذ هذا النهار مني ومنك وسأعود فانتظريني، لن أطيل الغياب. هل وجدتِ أقلام التلوين والدفتر الصغير؟ سأرسم شمسا وسورا وأطفالا وأراجيح. سأرسم مهرّجا بأنف

كبير جميل وزهورا على جانبي الطريق وسأجمع قبل أن يغادرنا الربيع كل ورود الجبل لتستقبل البهاء. انتظريني: جولة قصيرة وسأعود.

8

وكأنه يعتذر عن "بهائيات" الصباح: لا تعتذر فقد سبقك إلى كتابتها هذا الصباح نداه وبلابله وهدوؤه. أنا قرأتها مع بدايات خيوط شمس هذا النهار. أرسلت إليك نبضها الموعود بحياة مزنّرة ببساتين فلّ وريحان وأقحوان. تلك الـ"بهائيات" أخبرتني سرّا –والسر إذا تجاوز الاثنين ذاع – قالت: سيكون ما يجب أن يكون. وأوصتني: أنا باق في ثمر الزيتون ونكهة الجبل وفي عبق القهوة والجوري. باق في حقائب تلاميذ المدارس وقهقهات أطفال ينفعلون بمشهد مسرحي، أو يتابعون مهرّجا يأخذ بأيديهم يطوف معهم دنيا الأحلام ويقف على بوابات المستقبل. لا تعتذر يا جمل المحامل، فقد قلتَ ما لم تقله مؤسسات وأحزاب ومنظمات نامت بعد كثير تثاؤب. يقول البهاء لك- لنا في هذا الصباح: قم واسمع هتاف الحياة، فأنا أرقبكم من عل.

9

بين الفرن والثلاجة مسافة من حياة وظلم وشقاء. والشقاء تتشعب دروبه وتتشكل ألوانه والناس في حيرة بين دمعة فرح ودمعة حزن: كلتاهما تغرف من ذات النبع وتخرج من ذات المكان لتسيل على الخد الأسيل. دمعة حزننا على من يمضي الأيام في صقيع الثلاجة، ودمعة فرحنا على من يمضيها في لهيب الأفران وقرّ البرد القارس. في انتظار الأبناء تتأهب الأمهات وهن يرسمن برنامج اللقاء: تلك ستمسح آثار الرمل والحرّ لتعانق ولدها الغائب وهو يعود إلى دفء الحضن، وتلك ستمسح آثار الصقيع عن جسد البلور لتعانق ولدها وهو يعود إلى دفء الحضن. أمّان، وغائبان، وعودة، وحياة، ومفاهيم، وصور، وبرامج، وقليل من ضياع، وكثير من الأسئلة. فرن، وثلاجة: تحبس الأجساد في أفران العزل والصحراء، وتحبس الأجساد في ثلاجات الشقاء. أما لهذا العزل من عازل! أما لدموع الأمهات من مكفكف! أما آن لورود الحياة أن تسير بانتظام لتذكّر "الناس" بالحياة وجمالها وفرحها! لا الفرن باق ولا الثلاجة. المجد للحياة.

10

ثقافة الحياة العنوان – الرسالة التي يحملها المحامي محمد خليل عليان استراتيجية يسعى لترسيخها كانت أمس في محطة لقاء ومداخلات ومحاولة تنظير لتأطير الفكرة ووضع آليات لتنفيذها بشكل أكثر تأثيرا إذ لم يعد الشكل الخجول السائد حاليا كافيا للارتقاء لمعنى هذه الثقافة

المنشودة. ولأن الثقافة تتداخل مع السياسة وتتقاطع فقد فرض الواقع السياسي ثقله وانكساراته وهمومه. لقد برز قصور لافت لاهتمام وسائل الإعلام المحلية على اختلاف مشاربها واهتماماتها فلم تشهد اللقاء الثري لذا خسرت ما من شأنه أن يخدم رسالتها التنويرية، ولعل في هذا الغياب ما يشير إلى قصور في فهم الرسالة وتأديتها بمسؤولية. سيقول الباحثون عن تبرير: لم نُدعَ فلم نحضر!! الدعوة هنا ليست لحفل عرس صديق أو قريب. على الصحفي الصادق الأمين أن يبادر للحضور والتغطية فور معرفته بأي نشاط له قيمة ورسالة. هذا ليس عتبا رغم العتب القائم بل هو إضافة لما تعانيه القدس من إهمال وتناس وإحباط حتى من القائمين على وسائل رفع المعنويات ورفد الحياة بروافد الأمل. كان اللقاء أمس ثريا جادّا مسؤولا، فالشكر والتقدير لمن حضر وأصغى وأدار الأسئلة في ذهنه، ولكل من أسهم بإغناء الفكرة بمداخلاته. والشكر للكاتب المحامي محمد خليل عليان- حامل لواء الفكرة التي لا تموت.

11

زيارة بهيّة خاطفة زارتني روحه الليلة. كانت طائرا أخضر يبتسم، وللطيور ابتسامتها التي لا يفهمها غير من أوتي لغة الحياة. قالت: سلّم عليه – هذا الحامل صليبه يجوب البلاد ويقرع الجدران. قل له: لا تبتئس، فصوتك يصلنا هناك وبه نشعر بالدفء. قلت- وفي القلب ارتعاش مفاجأة وفي الحلق حشرجة: أنت حيّ إذا. أنت – أقصد – لم تمت! - وهل

سمح لك ظنك بالقول: إنه غاب وانتهى؟!! أنا بينكم معكم وفيكم: أراقب، وأصواتكم تصلني، وكذا أحلامكم وأمنياتكم. أنا فكرة لا تموت، ألم تقلها يوما؟ - بلى، قلتها، والفكرة لا تموت. الطائر الأخضر رفّ بجناحه رفيفا نديّا واختفى. أين ذهب؟ متى يعود؟ تركني وحدي أحاور أسئلتي، واختفى. لعلّه الآن يرقبني. لعلّه يقرأ حيرتي. وحتما إنه يعيش معي بروحه...

12

بهائيّات- بديلا مؤقّتا عن "بهائيّات" صديقي المغيّب: فجرَ اليوم يا "بهاء" كنتُ قويا. قوّة غريبة اجتاحت جسدي كلّه وذاكرتي ونفسي. معها صرت وكأنّي أطير، نعم أطير، فطرت إليك هناك حيث أنت: قبّلتك برضى وخشوع ودمعة. والدّمعة لا تعني الضّعف دائما. لكنّي لُمتُك. نعم لُمتُكَ. فلماذا أسرعتَ بالذّهاب وتركتَني؟ ما زلتُ محتاجا ليدك تسند يدي، ولنشاطك ينثر بذور الخير والكرامة في السهل والسفح. لكنّك غادرتَ: تركتَني وغادرتَ. المهم: لا تقلق. أنا هنا بخير... لا تبتسم بأدبك الذي أعرفه. صدقا أنا بخير: معنوياتي عالية جدا، وثقافة الحياة التي بشّرتَ بها تنمو في البلاد والناس، وسيكون لنا حياة. حياة كتلك التي تمنّيناها معا. أتذكُرُ؟ 27حزيران 2016م. لليوم الثّاني: بهائيّات- بديلا مؤقّتا عن "بهائيّات" صديقي المغيّب: اليوم يا "بهاء" حصل ما قد لا يصدّقه المراقب البعيد عن لحم التجربة وروح الحالة! وأنا واثق من أنّك ستصدّق والدك حين يقول لك: لقد بكى الحديد هذا الصباح وهو يعتذر اعتذارا صادقا.

الحديد يا "بهاء" لا يجامل. الحديد يعرف أنه ليس في مكانه الصحيح فهو يحيط بمعصميّ أنا حامل لواء الفكرة المبشّر بثقافة الحياة، وهم يريدونني أن أسكت: يعني أن أموت كما مات من يفترض فيهم أن يواصلوا العزف على أوتار القصب لتهتزّ روح المكان نشوة، وترقص الأجيال طربا وتفاؤلا. بينما كانت سلاسل الحديد تحيط قدميّ ومعصميّ كان صوت النّشيج عاليا يعتذر. أنا قبلتُ الاعتذار وأثقُ بأنّك ستقبل اعتذار حديد الثلاجة أيضا، فالحال مقلوب يا ولدي الحبيب. حقا إنه مقلوب: أنا أريد الحياة وهم يرمونني بسلاسل الحديد مثلما رموك بباب الثّلاجة، وكلاهما بارد في صقيعه وواقعه. الحديد اعتذر لنا يا "بهاء"، فليت كلّ حديد يعتذر! ليت قلوبا من حديد تلين...

13

هنّ الأمهات حين يبدأن النّشيد: " ستكون لنا حياة كما نريد لكننا نعلم أن الدّرب شائك طويل" تصغي البلابل وتصمت موسيقى الصّباح: ها هي سيمفونية الأمهات تعلو وتعلو، والوقت نهار للأمهات. ونحن أمّهات: لسنا أبطالا، لا نتسابق على التقاط الصّور. نحب النّهار وأبناءنا والحياة، نحب البحر والنّهر نحب البلاد والأطفال، ونحفر بدمعنا معنى للصّبر. نحن أمّهات: نحبُّ أبناءنا الحبَّ كله، ونحبُ البلاد والناس. لا نفرّق بين ابن وابن: كلّ الناس أبناؤنا فنحن أمّهات. والأمّ لا تعرف أن تداري حبّها وعطاءها، الأمّ تعطي وتوزّع الحبّ على العالم كلّه. وحين نداري فلا نداري

سوى الدّمع، فقط لأننا أمّهات. والأم تختزن دمعها للّيالي لتبكي بصمت ووحدة. الأمّهات نحن، فنحن الجميلات الصادقات الواثقات. نحن – إن شئتم الاختصار – بساتين الحياة.

14

كلُّكم أبنائي قولا وفعلا ها أنا أُعلي الصوتَ أطالبُ برجوعكم إلى حضني الذي توزّع على أمّهات الفقد والحزن والصّبر. يا أنتم، أيها المنتظرون في ثلاجة الموت ها نحن نهبكم الحياة، وأنتم من حرّكتم شريان حياتنا. كنّا أمواتا قبل حياتكم، وها نحن نكتوي بحرارة الفقد فتحرّكنا نداءاتكم: كونوا على قيد الحياة- حياتنا التي نريدها ونرتضيها، وما كلّ حياة تكون حياة. لقد وهبتمونا المعنى وأودعتمونا سرّ الحكاية، ونحن ندري تماما أنّ دنيانا زائلة ولا يبقى في الفضاء سوى هتافاتٍ تُعلي من قيمة الحياة وتزرعُ ثقافةَ الحياةِ ليعمَّ الكونَ فرحٌ وحياة.

15

خُذي من جسدي حنّاء للعاشقات: أنا آتٍ إلى ظلّ أسوارك لأعلي النّشيد أصلّي الفجر وأواصل المسير سائلا عن قطرة حنّاء لحجارة المدينة. لا تقولوا: البهاء في الظّل يقيم فأنا أحدو مسيرة الحياة من برجي المشيّدِ بالحنّاء والدّعوات ودموع الأمهات. ها أنا أمنحُ الترابَ جسدي ليزهرَ في الرّبيع فيلهو الأطفالُ بحبّ وحياة. أنا عاشقُ الطّفولةِ والنّاسِ ما هنتُ يوما

ولن أهون. ففي بُعد الجسد حنينٌ للعودةِ المضمّخةِ بروح الأماني والأحلام. خُذي هذا الحنّاءَ يا أمّي وانثريه في الطّرقات فمن خلايا جسدي ستتحنّى عاشقاتُ الحياةْ.

16

الصّمت لغة يا أبا خليل. لغة تقول ما لا يقوله منطوق الكلام. وليس كلّ صامت يقول إنما أنت بصمتك تقول الذي يجب أن يُقال، ونحن نسمع لغة صمتك القوية وهي تهزّ أرجاء المكان... دُمْ قويّا بصمْتِكَ لنظلّ نحلّل الكلام لعلّنا نفهم ما بين سطور صمتك التي تقول ما لم يصل بعد... نحن بحاجة لفهم الصّمت أيضا... وها أنت تضيف نداء آخر لعلاج الأفهام: فهم المقروء، وفهم المسموع، وفهم لغة الصّمت. صمتُكَ اليوم ليس صمتا بل صراخ.

17

لم يخلف الميعاد. عاد مع أصدقائه الأطفال هو "البهاء" الذي يبدأ العام الدراسي في الأول من أيلول مع أصدقائه الذين أدخل الفرح إلى قلوبهم في مدارسهم وأعيادهم وأنديتهم. سيتوجه هذا الصباح إلى مدارسهم: يطمئنّ عليهم، ويداعبهم، ويغنّي لهم أغنيات الفرح القادم. سيقول لهم: أحبّوا الحياة، والحياة: فرح وثقافة وابتسامة وقلب ودود وكتاب تقرأ كلماته وأنت ترسم العالم في مخيّلتك عامرا بالزّهور والأطفال. سيتمنّى لهم عاما سعيدا عامرا بالفرح والإنجاز والنّجاح والتميّز، ثم

سيغادر عائدا إلى قلب القدس ليطرح تحيّة الصّباح على رفاقه المقيمين في المكان. هناك سينبت ورد كثير وستزهر زهرات أكثر وسيزور الأطفال المكان سائلين عن صديق لهم أدخل السّرور إلى قلوبهم وعلّمهم ثقافة الحياة. 1 أيلول 2016م.

18

صديقي الموجوع "محمد خليل عليان" يستعدّ لغسل الرّوح بهاء الجبل الذي لا يكتمل الحجّ بغير الوقوف عليه. "أبو خليل" يتعمّد بمعنى الحجّ الذي يعني المساواة والتّواضع وتذكّر الفناء بهذا اللباس الأبيض القريب من الكفن.وهو الذي تعمّد سابقا بحب البلاد ومستقبل الأطفال المضيّع فسعى لبثّ ثقافة الحياة. في هذا العيد -بعد يومين- سأزور ضريح جسد البهاء لأقرأ الفاتحة ثم أعود بكثير من الأسئلة وروح فكرة التعمّد والعطاء وثقافة الحياة. لأبي خليل سأقول: كل عام وأنت بكل الخصب والعطاء والقدوة.

19

إليه في غيابه الحاضر إلينا في حضورنا الغائب:...عام مضى على الفراق... وكأنه أمس غاب حين خرج إلى قراره الصعب وتركنا وراءه نلوك الأسئلة والأمنيات: ليته لم يغب. ليته بقي بيننا يعالج فقر الأرواح ويزرع المحبة والحياة في النفوس الظامئة للحياة. اليوم نحتاجه أكثر.

تحدٍّ " أتحدى كل المشتغلين بصياغة الكلام ان يكتبوا عن ام قالوا لها بغتة ان ولدها في رحلة ابدية ولن يعود " قالت ام البهاء وانا بسذاجة غير مجرب اسألها كيف وجدت ام الشهيد هل أقول: "وانا قبلتُ التّحدّي" بلا ارتعاشة!! ربّما ينتابني نوع من الثّقة فأبادر بالقول: "...وأنا قبلتُ التّحدّي" ربّما! لكنَّ التّحدّي الواقف في مواجهة الكلام واللغة والتّعبير تحدٍّ حقيقيٌّ يمدُّ لسانه ساخرًا من أساليب التّعبير مهما رقّ لفظُها وعَلا مقامُها. إنّه تحدِّ حقيقيٌّ لأنّه يستند بثقة إلى مشاعر أمٍّ حملتْ وابتسمتْ بفخرٍ مع أوّل حركة للجنين في أحشائها، وباتتْ تعدُّ الأيام وتسهر الليالي تخيط الملابس أو تنتقيها، وراحت تسأل المعارف والصّديقات عن أفضل الأسماء لتختارها دون غيرها لمولودها الجديد...وهي التي "ربّت كل شبر بنذر" وظلّت ترسم في خيال أمنياتها صورة بانوراميّة لاحتفالات الفرح بالعرس... واليوم – فجأة- سمعت النّبأ الصّاعق من شاشة التلفاز وأكّده قريب العائلة: - الله يرحمه، شدّي حيلك. الله أعطى والله أخذ....." والشّفتان تتابعان الحركة بينما العقل والاستيعاب في تحليق عال بعيد: بعيد عن الأرض والواقع ومعنى الموت والفقد....العقل طار بعيدا بعيدا في بلاد بعيدة وحلّق في فضاءات أبعد وأعلى... وحدَها شاشة الذّاكرة في هذه اللحظة تعرضُ رحلةَ السّنوات وما قبلَها منذُ النّبضة الأولى للجنين في الأحشاء المعتمة. أسرعُ عَرضٍ سينمائيٍّ في الكَون... لا سرعةَ تُضاهيه: السّنواتُ جميعُها تحضرُ بعذابِها وجوعِها ودفئِها وحبِّها ومشاعرِها

المختلطة: تحضرُ الكلمةُ الأولى، ويحضرُاليومُ الدّراسيُّ الأوّل. تحضرُ الأحلامُ المنتَظَرة التي ظلّت تمدّها بقوّة الصّبر وتدفعها لانتظار يوم الفرح... - "لا، مش معقول! بتمزح....بالله عليك،...." وتبدأ الكلماتُ المغموسةُ بمشاعرَ من "جنونٍ" وعذابٍ ودموعٍ وقهرٍ وعجزٍ تَتَوالَى، والمستمعون- المشاهدون يُدارون دموعَهم ويتجنّبون الحديثَ لكي لا يكشفوا حشرجةَ حناجرهم... الآن، الآن تماما: تَغيمُ العيون، وتتسارعُ نبضاتُ القلوب ويؤطِّر المشهدَ غرابٌ ينعق معلنا تأكيد النّبأ – الفاجعة، فتنهار الوالدة مكسورةَ الأحلام، وينشجُ الرّجالُ الذين تربّوا على التّجلُّد، وتتعالى أصواتُ نُواحٍ وحسرة فتصير السّاحةُ حياةً لا تشبهها سوى حياةِ أمٍّ لم تصدّقْ حتى اللحظة أنه ذهَبَ بلا عودة هذا المساء كما في الأيام التي سَلَفت. هل أقولُ: "وانا قبلتُ التّحدّي" بلا ارتعاشة!!..... ها أنا أكتب وقلبي قبل يدي يرتعشُ، ودمعي يُسابقُ كلماتي... - لا، لا يا صديقي... ها أنا أعلنُ انسحابي وتراجعي... لقد وجدتُ الأمرَ أكبرَ من الكلمات. 20 / 4 / 2017

***

هل كانت نبوءة؟

عصمت منصور

هل كانت نبوءة ؟ ام كشف تجلت فيه حقيقتنا بكامل عريها الفاضح في لحظة تجرد فيها بهاء فلسطين(كما يحب ان يطلق عليه والده ونحب معه) من كل ما يحجبنا عن الحقيقة التي تكاد تفقأ اعيننا دون ان نبصرها ، لقد اعمتنا غشاوة التعصب الحزبي ،وكراهية الاخر ،وعدم الثقة وقصر النظر عن روية الوحل الذي وصل الى انوفنا وطمر حواسنا. "لا تحزنوا على استشهادي، احزنوا على ما سيجري لكم بعدي " هذه ليست وصية وليعذرني بهاء فلسطين ،انها دعوة لنا كي نفيق ،وخز للضمير النائم ،تحريك لمياهنا الراكدة،جلد لفكرنا الميت وخيالنا المريض وانعدام الرؤية، انها اصبع اتهام مغروس في اعيننا التي تصر ان لا ترى سوى ما اعتادت وما الفت واستراحت على رؤيته .خلال اسبوع واحد قمعت اجهزة الامن مسيرة بيت ايل مرتين ، وفي المرتين كنت الشاهد/المشارك الحزين حد التمزق ،كنت اتمنى ان تنبت لي الف يد كي اتحرر من عجزي واجمع شتات ذاتي ، لا كي ادفع عني الهراوة الباردة حد البلادة بل كي امسك بايدي اخوتي حاملها واشير لهم الى الامتار القليلة التي تفصلنا /توحدنا والتي يفترض ان نجتازها معًا باتجاه العدو الذي كان يوحدنا.

اسبوع واحد دفن فيه رفاقك الذين تبعوك يا بهاء فلسطين في الظلمة وكأنهم ما كانوا ، او وكأن هناك من لا يريد ان يترك لهم اثرا ويريد لجليد الثلاجات ان يمتد لوجداننا وذاكرتنا، اسبوع واحد لم يتسع للاجابة عن السؤال المتاهة الذي القاه في حجورنا محمد دراغمة والذي يحاكي فيه وصيتك "احنا لوين رايحين" سؤال بحجم متاهتنا وتعامينا معلق كغصة، اسبوع واحد فقط دفع سباعنة كي يخرج علينا برسم موجع كالملح فوق جراحنا التي ما عدنا نعرف من اين تنزف ،ليرينا صورتنا التي نهرب منها. من يكره وطنه؟ ان من يتهمنا بكراهية وطننا كمن يتهم الشهداء بكراهية الحياة ، والمبدعين بكراهية الجمال. لماذا علينا ان نتمزق الف مرة في اليوم ، وان نتوه في البديهيات ،وان نتشظى ونكسر من داخلنا. احزنوا على ما سيجري لكم بعدي ،، فهل ما وصلنا اليه هو" بعدك !!" ام ان الهاوية ما زالت امامنا!

***

إليك يا بهاء

غادة محسن

1

أتدري يابهاء،،،،، تركت خلفك غرسا في قلوب الملايين لن تذروه الرياح ابدا ولن تمحوه السنين اتدري يابهاء،،،،، ان مثلك قليل عشت نبراسا للحق وعلما بارزا وحتى باستشهادك تميزت؛ أو تدري ان لك شعبا عشق تراب الارض التي انت منها، او تدري يابهاء انك وابناء الجبل سطرتم ملاحم بطولة تباهى بها المجد،،،، هناك من على الجبل كبر الفاروق من زمن فكان الفرق من ذاك الزمن، هناك تعالت صيحة الله اكبر فكبُر الجبل بابنائه. لم تكن محض صدفة بل كان القدر؛ او تدري يا ابا الخليل انكم خير خلف لخير سلف؛ او تدرون انكم ابناء الجبل جبل محامل اثبتم عزمكم وصلابتكم وقوة جلدكم، او تدري ان كل الكلمات لا تعبر عن ذرة مما يختلج الفؤاد الهمكم الله القوة والصبر

2

بل على هذه الارض رجال تستحق ان تحيا وان يخلدها التاريخ على هذه الارض عظماء فكان لازاما علينا ان نقدرهم ونقف معهم على هذه الارض، رجال عجزت بطون امهات الارض ان تنجب مثلهم، على هذه الارض رجالات فلسطين ومنهم الرجولة تُعلم،،،،، اذا كان ما على هذه

الارض يستحق الحياة فهو لاجلكم ولكم، كيف وان كان بهاء احد هذه الرجال كيف وان كان ابن الجبل الذي جلجل بصوته الرنان فطاف صداه ارجاء المعمورة ينشر حبا وسلاما.

3

ان تتماهى اهات باطن الارض مع اهازيج سطحها فرحا فانما يدلل على القوة والصلابة فانما يدلل على اللحمة والثبات نعم فنحن شعب نعشق الحياة ما استطعنا اليها سبيلا،،،،،، اتدري يابهاء. ان شوق الارض لاحتضانك انت واخوانك لم يفتر للحظة وانما يزداد غليانا بغليان براكينها، او تدري انه كلما طال الفراق كان الاحتضان اقوى وامكن، او تدري ان للارض اشواقا من لهب فهي الحنونة على ابنائها كما الام ستنعم يوما يا بهائنا بدفء الارض وحضنها وان طال المشوار سيبقى حقنا باسترداد جثمانك ساطعا كالشمس، او تدري يا ابا خليل ان للارض زفرات من غضب ستحرق يوما مغتصبها وستنبت بعدها سنابل فرح تعم الوادي ابتهاجا فيرتد انعكاسه على الجبل، فيبتهج من كان في قلبه الالم نعم فهذا ما وعدنا الرحمن النصر ولو بعد حين،،،،،، هنيئا للجبل

4

ثقافة الحياة،،، ان تحيا هذه الحياة وفي قلبك ألم يمتد الى ابعد مدى ورغم ذلك تزرع الامل،،ثقافة الحياة ان تنزع البسمة من محياك ومع ذلك تزرع البسمة في وجه كل من عرفت ومن لم تعرف،،،، ثقافة الحياة ان تبعث في نفوس الاخرين الدفء رغم انك تشعر بالصقيع وتجمد اطرافك،،،، ثقافة الحياة ان تحنو بحنان صدرك عليهم رغم ان الارض تنتظر بان تحنو بذراعيها عليك،،، ثقافة الحياة ان احيا في هذه الحياة رغم كل الاسى رغم كل الالم وان اغرس بدلا من كل هذا الامل والفرح ثقافة الحياة ان استبدل الجراح بالافراح،،،،،، وتستمر قافلة الحياة بثقافة انا نحن باقون؛ ثقافة الحياة ان يترجل فلذة كبدي وانت تكمل نهجه، ان يرحل جسد البهاء وان يبقى ذكره وفكره ونهجه فينا حيا.

5

لا املك اليوم تعليقا؛ فالكلمات احيانا تخون ولا تسعف ربما لاني بت اشعر ان وجعكم يحتد وحرقة قلبكم تشتد امام كل هذه المواجهة تلاشت الحروف وتبعثر نسق الكلمات لله دركم ذوي البهاء لله دركم فوجعكم امتد الى ابعد مدى ولم يسمع الصدى بالرغم من دويه في الارجاء. الا ان ثلة لازالت لاتسمع النداء،،،،،،،،،،،،،، على لسان ام البهاء ان اصبت التعبير رباه رحماك رحماك فالغياب اعيا راحتي رحماك يارب فلم اعد اقوى الفراق رحماك ربي فالصقيع ما زال يحتضن فلذة

كبدي، ما زال حقدهم الاسود ملتفا حول ولدي رحماك ربي فالاماكن تذكر بطيفه الجميل رحماك فلم اعد اقوى على الفراق الارض زمجرت بالغضب وزفراتها هبت من لهب شوقا لاحتضان الجسد،،،،،، لم يعد للعربية نسق فقد اختلطت التعابير، لكن لاضير فهاؤكم بهاؤنا وفلذة كبدنا واخونا الصغير

***

هو الوداع الأخير

حلوة زحايكة

1

وأخيرا وبعد عشرة أشهر ونصف الشّهر عاد البهاء إلى حضن أمّه الأرض، صحيح أنّهم اعتقلوا جثمانه في صقيع الثّلاجات، لكنّ روحه بقيت طليقة في علّيّين، وهنا أستذكر ما قالته أسماء بنت أبي بكر لابنها عبدالله بن الزّبير:" وهل الشّاة تحسّ بسلخها بعد ذبحها؟" فجثمان البهاء في الثّلاجات وروحه تسخر من محتجزي الجثمان، أعرف مشاعر الوالدين الثّاكلين، وخصوصا مشاعر الأمّ، فأذرف الدّموع كما كلّ الأمّهات، وأمّ البهاء احتضنت جثمان ابنها للمرّة الأخيرة قبل أن يوارى التّراب، وبالتأكيد فإنّ دفء دموعها قد بعث الدفء في الجثمان الذي عانى الصّقيع طويلا. ومن سنن الحياة أن يدفن الأبناء الآباء في الغالب، لكنّ استمرار الاحتلال وما يصاحبه من قتل وبطش وتنكيل عكس سنّة الحياة، فجعل الآباء والأمّهات يدفنون أبناءهم. لقد صبر والدا البهاء على احتجاز جثمان ابنهما، رغم لوعة الفراق، وها هما يحصدان ثمار صبرهما المغموس بالحزن والألم. فللبهاء الرحمة ولوالديه وذويه الصّبر والسّلوان وحسن العزاء، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. 1-9-2016

2

دموع بهيّة

المحامي محمد عليان والد الشهيد بهاء فلسطين ابن قريتي، صاحب فكرة أطول سلسلة قارئة حول سور مدينة القدس، التي دخلت موسوعة غينس، يقوم يوميّا بنشر "بوست" على صفحة التّواصل الاجتماعيّ منذ رحيل البهاء، كل حرف فيه يذرف الدّموع، من يقرأ حروفه المخطوطة يذرف الدّموع. هذا الأب الثاكل الذي ينتظر عودة جثمان ولده ليوارى التّراب، يحترق ألما، ويذوب كما الشّمعة دون أن يُشعر أحدا بذلك، فهو يعلم "أنّ النّار لا تحرق إلا اليد الدّاخلة فيها". يحارب في كل الاتجاهات وحيدا من أجل استعادة جثامين الشّهداء الأسيرة في ثلاجات الاحتلال، فكلّهم أبناؤه، ولا يريد حمدا ولا شكورا. محمّد عليان الذي هُدم بيته، مدرسة في الصّمود، تماما مثلما كانت وصيّة البهاء مدرسة في ثقافة المقاومة، وهو الذي ابتدع "أطول سلسلة قارئة حول سور القدس" لتكون يوما فلسطينيّا وطنيّا للمطالعة، فهل كان يتحلّى بعبقريّة الابداع قبل أن ينهي العقد الثّاني من عمره. لقد كان البهاء وسيبقى بهيّا، ويليق بوالديه هذا البهاء رغم مرارة الفراق. 15-3-2016

***

مع والد بهاء.. عن بهاء

يونس الرجوب

1

عشنا مع بهاء لحظات عشق لا نسمح ان يفسدها الكلام....

هكذا اسدل الصديق الحبيب محمد عليان ابو الشهيد بهاء التراب على نخلته في الارض الطيبة. وربما مسح بقطرة دمع حارة.حبة رمل عاشقة استقرت على خده الموجوع قبل الرحيل الاخير.وابت الا ان تكون هي كبرياء اللحظة، وفضاء الفرح في صمت البوح على قبر الشهيد.اما والدة الشهيد ثائر ابو غزاله فقد حملت في وداعه عشرين وردة حمراء هي سنوات عمره قبل اسدال التراب على جسده الطاهر الذي اكتمل بعامه الاخير في صقيع الزنزانة بعد استشهاده. زرعت على تربته المقدسة تسعة عشرة وردة وعادت بواحدة من وروده الحمراء لتزرعها على شباك بيتها وكأنها تقول الورود تزع ولا تموت. والابناء يعيشون ولا يموتون.وهل تصدق الام ان ابنائها يموتون؟؟ لك المجد يا ام ثائر ابو غزاله ولك الفخر والكبرياء يا ابا بهاء عليان والى الشهداء ارواحنا وعباءة الشفق الارجوانية وصلوات النساك في معابد الضوء

2

محمد عليان. محمد ابو حبسه.احمد ابو سرور.وقائمة الكبرياء في الدرب تطول...

لم تشيع الزنازين من لحمهم. ولم يعرف القاتل ان وجع الغياب وإرسال الابناء الى حتفهم، اخف عليهم من وجع الروح وانين امة تبكي انكسارها.

في عام 1966 وبعد هجوم الجيش الصهيوني على بلدة السموع وتدميرها، وانفجار المظاهرات الشعبية في مدن وقرى ومخيمات الوحدة الاردنية الفلسطينية؛ ومن الكرك وعجلون وحتى القدس والخليل ونابلس وجنين، خرج احمد ابو سرور على رأس مدرسته الثانوية في بيت لحم مطالبا برد العدوان وتسليح الجماهير للدفاع عن نفسها في مواجهته وتحطيم اهدافه. وتم اعتقاله والزج به في زنازين الزرقاء ليتعرض هناك الى كل ما كان يتعرض له الاحرار والمناضلون من عذاب وتنكيل جسدي ونفسي، خرج بعد ان هتفت الجماهير باسمه وطالبت بحريته في مظاهراتها التي لم تتوقف قبل نيله لهذه الحرية العزيزة. وفي عام 1967 قطع دراسته الجامعية التي لم ينل منها غير رقم التسجيل الجامعي في سنته الاولى، وذهب الى معسكر الهامة لتلقي تدريبه العسكري ويعود من هناك ضمن الدورية الاولى لحركة فتح بقيادة الشهيد الرمز ياسر عرفات حيث اسندت له مسؤولية قيادة الحركة الفدائية في جنوب الضفة الغربية التي سهر على بنائها وتصليب عودها في مواجهة الاحتلال؛ حيث زرع فيها روحه

العنيدة وقوة عزيمته التي ستبقى سارية في اجيالنا المتعاقبة حتى كنس الاحتلال واجتراح النصر العظيم. وعندما وقع في الاسر لم يفش بسر واحد من اسرار الثورة ولم يعترف باية معلومة عن نفسه او عن الاخرين رغم شدة التعذيب الذي تعرض له، والذي يشهد كل اسرى فلسطين ان احدا منهم لم يتعرض لما تعرض له احمد ابو سرور من تعذيب، حيث ما زال جسده النحيل يحمل اثار تلك الاوسمة من الحروق والثقوب والكسور التي لم تنل من عزيمته وكان هو الاسير الوحيد الذي حكم حكما ميدانيا بلا لائحة اتهام او عقد جلسة في محكمة عسكرية مثل الاخرين، واعترف انه كان معلمي الاول داخل الاسر والاعتقال وانني ادين له بفهمي للثورة وحفظ مبادئها ومنطلقاتها وفهمي للصراع العربي الصهيوني وركائزه وابعاده، وفهمي لقيم الحرية والثورة واخلاقياتها وقواعد سلوكها والتزاماتها في قضايا الجماهير والدفاع عنها واتساع ثقافتي ورحابة ابعادها وصلابة شخصيتي والاسس الانسانية التي بناها معلمي عليها، واعترف انني مدين له بكل ما انجزت في مسيرتي الشخصية والكفاحية، وكل ما اخترت من اصدقاء او مناضلين قادرين على مواجهة الاعداء والصبر على الشدائد والمحن وآلام النضال وتضحياته، واعترف انه كان وسيبقى بالنسبة لي وللاخ الحبيب احمد جرادات هو الاب والاخ والمعلم الذي يقف له الرجال احتراما، ويصون فضله من يعرف فضائل النفس وكبريائها حيث كنا في ذلك الوقت شبلين صغيرين لم يتجاوز كل منا السادسة عشرة من عمره، وكنا مواظبين على دروسه حفظا وفهما وتحليلا واستيعابا وربما ابداعا

ايضا، واليوم وبعد ان ارتقى اخونا سرور شهيدا في مدارج النور وانت ارواحنا بما فيها من اوجاع نقول: لهذا ربيت ابنك ايها المعلم وعلى هذا ربيتنا قبله بالامس.

ارتقى بهاء عليان ابن الاخ الكبير محمد عليان صديق الاسر والاعتقال، وبعد لحظة من توهج الخيار الصعب في نفوس من نحبهم لحق به ابن الاخ الكبير وصديق الاسر والبطولة محمد ابو حبسه، واليوم كان الجميل الرائع سرور.ثلاثة اباء من الاسرى المحررين وثلاثة شهداء لم يعرف كل منهم ان اباه كان يقوم الليل يتحسس وجهه ليصدق انه قد تحرر من الاسر، وانه بنى اسرة جميلة واصبح له ابناء لشدة ما وقع عليه من عذاب.

هذه هي بيوتنا ايها الرائعون الى حد الكرامة، وهذا هو نسلكم الذي يواصل الطريق. يتوهج في لحظات الانطفاء ويسرج حصان العزة يوم تنادي الحرائر على اهلها، ويصبح الشهيد هو القيمة، وتصبح التضحية هي المعيار ويفر اللصوص والجاحدون الى جحورهم، ويسحق مقتنصو الفرص بالنعال مع زمر الذين ما زال موقعهم من تاريخنا الوطني لا قراءة ولا كتابة.

لابنائكم المجد والخلود مع الانبياء والشهداء والصديقين؛ ولكم فيما ربيتم الفخر والكبرياء، وقسما لن تنقطع سيرتنا في التاريخ مهما حاولت الحثالة من جهود.

3

ما لم يقله والد الشهيد بهاء عليان لابنه.....

يوم تخلقت كنا هناك.جرت انفاسك في جسد الوالد كما القشعريرة في الدم. توهجت في لحظة من الاشتياق كما الالعاب النارية في ليلة انتصار. خط الفجر على خدك الضوء آيته الاولى وابتسم.فبرجم الحمام فرحا على مهدك الطفولي واسدل على غفوتك الشفق.وقال للكنيسة دقي على نومه الملائكي اجراس الصباح.ارضعيه تهاليل القيامة والغضب. يوم تخلقت كنا هناك.اذن في اذنيك الغضتين راسم حلاوه قبل الرحيل.رسم على جبينك العالي قبلة المجد الاخير وقرأ عليك آية القابضين على اللهب. اودعك امينا في ساحة الاقصى لبدر نيسان.ابو جمال مراغه ليبتسم في روحك من جديد. ويهديك من بطون العين قوة العزيمة وجواز السفر. ويحني كفيك الطاهرتين بحناء الصنوبر والسنديان، ويذروك عطرا فوق اغصان الشجر كي يستقر فيك الند الى الابد. ويرافق ظلك الباقي الى مرقد البارود علي الجعفري.قلعة الكبرياء حتى النفس الاخير. وسيف الرجولة الحية في وجه الخطر. وصفحة الذين لا يركعون وان خرت عزائم الدهر او سقط الكون او مات القمر.

يوم تخلقت كنا هناك. كوة الزنزانة كانت هي الفضاء المتاح. وغذاء الجسد كان الهواء المر وخيال حلم يطوف برغيف يابس وبعض من امل ودفاتر تحمل اوجاع المضربين، ولا شيئ غير ذئب الموت في ساحة التعذيب، وصكيك امعاء جوعى يدمي المقل، وبعضك في الوالد كان يرف

كما فراشة تتهجى علم الرياح وعشق الاحتراق في معبد الضوء، وكأنك من يومها اتيت وكأننا من يومها تساقينا معك الحليب المر، واوصيتنا بالصبر على الشدة.

يوم تخلقت كنا هناك. وكانت نفحه هي الفاصلة الاولى على سطر البدايات. وهي فصل الفصول لمن يولدون على حد السيف ويكبرون على ساق نخلة. تموز كان احر من الجمر. وصحراء النقب صمت وترقب وفحيح سوائب سامّة. لا ترحم من تخونهم رجولتهم او يضعفون. تراءيت في عين الوالد محمد عليان. كما خط من الفجر يشق المستحيل.وتحولت في لحظة من نداء الحياة. الى قوس قزح على كف غيمة ماطرة تظلل رفاقه في ساحات الانتظار. وترطب حلوق العطشى قبل الوجبة المسائية من التعذيب.

يوم تخلقت كنا هناك. وكان كل منا يقرأ احلامه على كف اخيه المضرب عن الطعام وينثر عليها ما تيسر من الامنيات. رأيناك رؤى العين على كف ابيك محمد عليان. اختلطت فيك الوان الطيف مع زرقة البحر وصفاء السماء.لمعت كما البرق البعيد في هديل حمامة برية. تاهت بها الدروب مع انين الوجع.فحطت بجناحيها المتعبتين على الشيك اللولبي فوق ساحة النزهة اليومية للمعتقلين. ونظرت بسخرية واستهزاء الى كل حراس الموت على مقبرة الاحياء. وازجتك نشيدا على قرص الشمس. وعادت الى وكنتها مشبعة بالفرح والكبرياء.

يوم تخلقت كنا هناك. وكان والدك. محمد عليان منهمكا في تسجيل وقائع الاضراب. والاجابة على الاسئلة الكبرى. التي تفجرت في ساحات الاسر والاعتقال بعد اغتيال ثلاثة من الاخوة المضربين عن العطام. ونحن ما زلنا في يومنا التاسع من بدء المعركة الطويلة.كيف سننجو من الموت المحقق؟؟وهل قدر الفلسطيني ان يقهر الموت بمزيد من الموت؟؟وكيف لنا ان نتشبث في الحياة ونحن لا نملك من وسائلها غير قوة الروح المجردة من القدرة المادية على رد الاذى عن الجسد العاري؟؟وهل سيسمح لنا حراس الزنازين ان نموت بكبرياء مثل رفاقنا الذين رحلوا بعد ان دب الرعب في قلوبهم من موت رفاقنا الثلاثة؟؟

كانت الاسئلة صعبة يا بهاء. وكنت حينها تتخلق في الاجابات.ولم نكن نعرف انك انت هو البطل المتخيل في الرواية التي كتبها ابوك عن معركة نفحة الشهيرة.وانك انت الرواية بكل فصولها الجميلة ولن يعرف الان هؤلاء المتنعمون في مكاتب القيادات ان والدك لم يصدق انك اتيت وانه كان يقوم الليل يتحسس وجهك البريء ليصدق انك اتيت، وانه قد اصبح له ابن بعد كل ما وقع عليه من عذاب ولن يعرفوا ابدا انك اغلى من الروح وانك لما انت عليه قد نشأت وتربيت وسرت الى نجمتك الاجمل على ظهر جواد من نور الشمس والكواكب.

لك المجد وكل بهاء البطولة ولوالديك العزة والكبرياء.

شِتاؤُكَ هذا العام!

ما قلب أمك يا بهاءُ غدا؟

مروة السيوري

باكرا ستستيقظ ترتب البيت، نصف البيت، تشرب القهوة معك، مع ظلك على امتداده في روحها، تستبدل ملابسك الصيفية بالشتوية، ترتب خزانتك وتفاصيلك بكل تفاصيلها، تصل كنزتك التي حاكتها لك جدتك، ترتعش، تحضنها، تَتَنَفّسها وتولول "يا بهاااء"، تفرش السجادة على أرض غرفتك كي لا يصيبك البرد، تسير خلف خطواتك، تتتبعك، تشعل لك المدفأة، تغطيك، تصل وسادتك، تتنفسها وتولول "يا بهاااء".

ما قلب أمك يا بهاء وقد علقت معطفك الأسود خلف باب غرفتك كي ترتديه عندما تستيقظ وتذهب ليومك؟! وما قلبي وأنا أنتظر منك رسالة تقول: (انبسطي ميماا هي الدنيا شتت)، فأرسل لك: (يسعد الله)!

في مولِدِكَ

عزيزي بهاء عليان :صباح الخير لك، لكل التفاصيل التي جمعتنا يوما، صباح الخير لغيابك بزخم الحضور، صباح الخير لملامحك.

صديقي الحاضر دوما بهاء :كل عام وأنت بخير، مرة لعيد الفطر السعيد، بعد شهر تعب كنت تقف فيه ببزّة النظام في ساحات المسجد

الأقصى، في مكانك المعتاد، فوق برميل الماء، ترشّ الماء على المصلّين تخفف حرّ صيامهم، نعم، يوميا كنت أراك، أسلّم عليك وأمضي.

ثانية ليوم مولدك، كلّ عام وأنت باق في زاوية مضيئة من الروح، تدندن وتمضي، تعود لتغني وتمضي، تضحك تصخب وترقص تقفز وتمضي، لكنك دوما تعود، تعود لأدرك مع عودتك أنك سند لهذه الروح، وستبقى.

يا بهاء :الدّنيا ما عم تشتّي، والصباحات بطلت صباحات، والأغنيات الحلوة خلصت، ومحل الكوكتيل سكّر، وإنت طوّلت بالغيبة كثير، مش زعل ولا عتب يا بهاء، بس والله: اشتقنا.

هدّوها

كانَ يوما هيّنا على مقدسيّة مثلي، اعتادت الحبَّ والحرب !بتذمر وكسل نهضت من فراشي، مددت يدي وشغّلت أغنية (لا تهملني/ فيروز)، صوتُ والدي يناديني بفزع: اقتحموا دار بهاء، أسرعت إلى غرفة الجلوس واجمة، صوت كريستين ريناوي، أكاد أهوي، عدت للغرفة، حملت هاتفي، رسالة قصيرة مستعجلة لحسام أستفسر منه عمّا يحدث، ردّ بكلمة واحدة: (هدّوها)، أعدت له رسالة: رح نبنيها، لا إراديّا أرسلت رسالة لهاتف بهاء: البيت ضلّ وإنت راجع، لا أدري من سيقرؤها .

لملمت نفسي سريعا وخرجت من البيت، في السّيّارة، ريم البنّا تصرّ على أن تكسرني بآهتها، هل كانت صدفة؟! من منطقة سكني انعطفت

يسارا باتّجاه جبل المكبّر، مرورا بوادي قدّوم، عن المفترق أو ما نسمّيه الجسر انتبهت أنّي أكاد أختنق بكاء، أخذت اليَسار مرّة أخرى، بشكل مستقيم متسرّع كنت أقود، كان بهاء حاضرا فيّ، الطّريق أطول ممّا اعتدت وممّا أردت، أخيرا وصلت، لم أصل البيت، وصلت إلى ما يشير أنني قرب البيت، تمركز لقوات خاصّة من جيش الاحتلال، أشار لي بالعودة ببندقيّته، أوقفت السّيارة جانبا، مررت سيرا، قلبي يكاد يهوي، هل سقط سقف غرفة بهاء بتلك الأشكال الّتي كانت تزيّنه؟! قطعت الحاجز وسط خوف (لا أنكر) الأسلحة موَجّهة بكلّ اتجاه، ربّما لو تأففت لصرت حينها شهيدة الأفأفة، حاجز آخر أمام البيت تماما، اقتربت قليلا، القليلا عندي كانت بالنّسبة للجنديّ جرما: ارجعي وإلا بطخّك، ضحكت وأدرت وجهي، رجل كبير طلب منّي الصعود لأقف مع من تجمّع من الجيران والأهل، بيت مرتفع تجمّع الناس في ساحته يسمع لنا بمتابعة ما يحصل، ويضمن للجيش أن نبقى مكتوفي الأيدي، استغربت النّسوة وجهي، عرّفت بنفسي كصديقة للعائلة، ووقفت أتابع كغريبة حطّت في كفّ بلد غريب .لم تتجاوز السّاعة السّابعة والنّصف بعد، صوت حفر وتكسير يصلني، لم أدرك حقيقته من خياله، كنت مضطربة جدا، سألت عن عمي (أبو خليل) وعن حسام، هم في البيت، لم أستطع رؤيتهم، لم أستطع أن أقبّل رأس عمّي في محنته وأقول له: سنعيد بناء البيت، عدت أدراجي بخوف واضطراب، وسط ذات الأسلحة وذات التّهديد.

ركبت السّيارة باتجاه مكان عملي، الطّرق مغلقة، وصلت مفترق (أرمون هنتسيف) مكان استشهاد بهاء، مغلق تماما، يبدو أنّهم ارتابوا عودته لبيته من ذات المكان فأغلقوه بإحكام، هم لا يدركون أنّ بهاء كان في البيت يسخر منهم وهم يسقطون حجارة البيت .أخيرا: خرجت من منطقة الجبل، باتجاه منطقة عملي، أسارع الخطوات لأصل طالباتي في الموعد المحدد، كدت أموت للحظة لأنني انحرفت بالسّيارة حتّى لا أدعس كلبا، بينما الكلاب تدعسنا كلّ يوم وتمضي أنا خفت أن أدعس كلبا، الكلاب تدرك أننا لن نموت وإن دعستنا، الكلاب تدرك أننا نزيد إصرارا وتحدّيا.

أوقفت السيّارة باب المدرسة، مسحت دموعي ودخلت بمحاولة بائسة من أن أصطنع ابتسامة هي أبعد من أن تكون في هذه اللحظة، اقتربت إحدى طالباتي القياديّات المحببات لقلبي هامسة في أذني: هم بهدوا وإحنا رح نرجع نبني، وبصراخ وهي تركض باتجاه الصّفّ، معلّمتي مروة، بنستناك بالحصّة، بدنا ناخد الدّرس .حقّا أخيرا: لا نَصّ يوازي القهر والإهانة والألم، لا نصّ يوازي الموت، كل ما يكتب يصنّف هراء إن قورن بما سبق، لكنّنا سنمضي في هذه الحياة صوب الحياة.

لا تنسوا رشّ الماء على قبره

سلم الإمام من ركعتين خفيفتين لصلاة الجمعة، مراعيا الحر ومسافة سفر العديد من المصلين، جلست دقائق وأكملت ركعتين، سبحت الله كثيرا في محاولة لأقلص المسافة بيني وبين الله .

طويت سجادة الصلاة وتوجهت مهرولة نحو باب الأسباط، أنظر لأعلى خزان الماء المتواجد جانب الباب، تمثل لي حينها بهاء بشرا سويا، كعادته كان يقف هناك، أمسك رشاش الماء الذي مده له صديقه من أسفله، أخذ يرش الماء البارد بهدوء على المصلين، وهم من أسفل يدعون له، وكل يناديه أن يصوب الماء عليه حتى يبرد حره، أمسكت هاتفي وأرسلت رسالة لبهاء: انتبه لتوقع، وأتبعتها بضحكة صداقة مشاكسة.

أفقت من غفلة المشهد على صوت امرأة تنهرني: مش وقت سرحانك بدنا نلحق نطلع، مضيت في طريق باب الأسباط، وعيني تحلقان فوق الخزان، تبتسمان وتسلمان على بهاء، مضيت وأنا أراه حيا بلباسه الكشفي وسترة النظام، مضيت وأنا أتساءل: من سيرش الماء على تراب قبره عندما يدفن؟ من سيعيد له الماء الكثير الذي رشه علينا؟ من؟

(أزرار القميص والموت الأنيق)

باسل الطميزي

من لم يفقه اللغز وراء إلحاح الشهيد بهاء عليان على أمه أن تساعده في إحكام تزرير قميصه، قبل أن يخرج لتنفيذ عمليته في الحافلة الإسرائيلية قبل أيام، فلن يفقه أبداً لغز فلسطين ذاتها، لأن كل شهيد جديد ما يزال يعتقد أنه آخر الشهداء الذين سترفع بعدهم تلك البلاد راية نصرها على الموت الذي يطاردها قبل التاريخ، ولذا يتعين عليه أن يذهب إلى شهادته بكامل أناقته وقيافته .في فلسطين جاذبية غريبة للغزاة، وأخرى للمقاومة، والغريب أن الغزاة يلدغون من الجحر نفسه عشرات المرات دون أن يأخذوا العبرة من أسلافهم، وكأنهم يمضون تحت تأثير منوم مغناطيسي يدفعهم دفعاً إلى الانتحار الجماعيّ في تلك البلاد .في المقابل، يعيش الفلسطيني على الرقعة المثلثة ذاتها، مشدوداً إلى وتر التحدي، معايشاً موته اليومي كصلاة مفروضة، دون أن يمنعه ذلك من التلذذ بكعكة الزعتر التي يتناولها على الرصيف كل صباح قبل أن يمضي إلى عمله أياً كان، طلباً للرزق أو الشهادة .على هذا المنوال، خرج بهاء من بيته بكامل بهائه، ولربما مرّ على مكتبه لإنجاز عمل يومي مستعجل، وضرب موعداً مع صديق يتزامن مع موعد العملية التي قرر القيام بها؛ لاحتساء فنجان قهوة في مقهى أبو علي برام الله؛ لأن الحياة والموت في عرف الفلسطيني وجهان لحرية واحدة .للفلسطيني فهمه الخاص للموت،

فهو لا يتعارض أبداً مع حبه للحياة. وعلى خلاف اليائسين، يرى تلك الحياة شاسعة ولو من ثقب إبرة، وبهيجة حتى من نافذة جدار آيل للسقوط، ولا يضيره أن يعشق ويخطب ويتزوج قبل موعد تنفيذ عمليته بيوم واحد، فحياته قابلة للتكثيف الجماليّ كحياة الفراشة التي لا تعيش أزيد من بضع ساعات، ومهيأة لاختصار قصير لكن مدوّ كرصاصة .لن يفهم العالم لماذا يختار الفلسطيني الآن سكين المواجهة مع عدوه، لأن هذا العالم لا يعيش على حدّ خنجر كما يعيش الفلسطيني في صراعه اليومي مع الحياة والعدوّ معاً، ولأنه أبرع من "يحاصر حصاره"، فقد حوّل الخنجر الذي يحاصره في مكابداته اليومية، من خنجر على عنقه، إلى خنجر في رأس عدوه .ولن يفهم العالم لماذا أصر بهاء على إحكام أزرار قميصه قبل عمليته، كمن يذهب إلى موعد غراميّ، إلا إذا أدرك أن الفلسطيني مغرم فعلاً بأرضه، ويحرص على لقائها بكامل أناقته وعطوره، ولا يتورع عن الاستحمام وحلاقة ذقنه أيضاً، والتأكد من تسريحة شعره، لأنها عشيقة يليق من أجلها الموت في أقصى درجات أناقته وهندامه... لا فرق في هذا بين عاشق فنان مثل بهاء، وكاتب مبدع مثل غسان كنفاني، ولا حتى فلاح بسيط لم ينس أن يحمل لها ضمة بنفسج بري من ربيع حقله قبل الذهاب للقائها .على هذا المنوال ينبغي أن يتهجأ العالم شهادة الفلسطيني الأنيق، وأن لا يعجب من شاب يرى في القبر خندقاً للمواجهة، وامتداداً لحياته ذاتها، التي يكافح لانتزاعها من براثن الغزاة، على غرار ما قاله الراحل سميح القاسم وهو يرثي رفيق شعره معين بسيسو: "وتريد قبراً؟؟..

غير خندق ثائر لا قبر لك ."نعم، فالقبر في عرف الفلسطينيّ ترف إن لم يكن خندقاً للقتال.. والموت ترف إن لم يكن منذوراً للأرض.. والحياة ترف إن لم تكن قابلة للتحولات الدرامية المباغتة، من طريق للمدرسة، إلى رجم حجر، أو من التحاق بورشة بناء، إلى التحاق بالرفيق الأعلى في لحظة مباغتة يصعد فيها منسوب الأرض في عروقه إلى أقصى درجات ضغطها، وهي لحظة مكرورة تلازمه مع كل زر قميص يحكم إغلاقه، وفي كل لقمة مغموسة بالزيت والزعتر يتناولها في صباحات ما قبل الموت

لوين رايحين؟

نسب أديب حسين

كانت منهمكة في حديثها معه حين وصلت، توقف الكاتب ابراهيم جوهر لحظة عن الكلام ليُعرفها بي، وحين أتمّ كلامه.

كنت قد فهمت موضوع الحديث، فسألتني: ماذا يمكنك أن تخبريني عنه؟

تركت نوافذ ذاكرتي تُشرع على ذلك الحدث، فكرتُ مباشرة باليوم السابق لكل ما حصل.. فقد عرفت يومها أنّ شيئًا عظيمًا سيحصل في الغد.. لم أعلم أنّ ذاك الشيء سيؤثر على حياتي مباشرة، أنّه سيمنحني تجربة جديدة في علاقتي مع الوطن.. سيعيد نظرتي في مفهوم الحياة كلّها، وأسئلة المستقبل..

لم أعلم كلّ هذا وأنا أتابع الكتابات التحريضية على موقع التواصل الاجتماعي، في ذلك المساء، بعد إصابة الفتى محمد مناصرة، قلت لنفسي "الله يستر"، واستسلمتُ للنعاس.

صباح اليوم التالي.. حين سمعتُ زملائي في العمل، يقولون إنّ عملية كبيرة حصلت في مستوطنة أرمون هناتسيف شرق جنوب القدس، أدركتُ أن توقعاتي قد حصلت.. لكن حتى تلك اللحظة لم أعلم أنّ التفاصيل الموارية أكبر.. استمريتُ في العمل دون التوقف للبحث فيها، لئلا أدخل في نقاش سياسي جديد مع زملائي اليهود، يقودني الى اللاشيء.

في الواحدة ظهرًا.. خلال وقت استراحتي، تذكرتُ وجوب اتصالي لزميلي في ملتقى دواة على السور خليل أبو خديجة للاستفسار عن صحته، بسبب وعكة مرّ بها. حين جاءني صوته يسير مسرعا لاهثا، سألته: ماذا هنالك؟

قال: هل عرفتِ ماذا حصل؟

تساءلتُ: في أي شأن؟

. هل سمعت عن عملية أرمون هناتسيف؟

. سمعت أنّ ثمة عملية لكنني لا أعرف شيئا عن التفاصيل، ما زلت في العمل..

. هل علمتِ من قام بها؟

تساءلت بخوف:. هل هو شخصٌ يخصنا؟

. نعم

ازداد تسارع نبض قلبي، فأنا أخشى على أصدقائي في القدس كثيرًا، وحين أسمع عن توتر في منطقة تخص أيًا منهم أتصل حالا لأطمئن.. كم خشيتُ وأخشى أن يأتيني خبر استشهاد واحد منهم.. تمرّ الوجوه في بالي بسرعة البرق، وأنا أتساءل ترى من هو الراحل منها؟

سألته:. من ؟

تنهد قبل أن يقول:. بهاء.. ابن محمد عليان

خرجت صرخة وجع من فمي، وسقطتُ على الكرسي القريب مني، ماسكة الهاتف، ناظرة صوب الفراغ.. أحاول أن أستوعب الخبر. جاءني صوت خليل يوقظني من شرودي: نسب وينك؟

لأسأله حالا: انت وينك؟

قال: . بدي أحاول أوصل الجبل..

ازداد انفعالي: وين توصل؟ روح على البيت! دير بالك على حالك بكفينا اللي صار.

أنهينا المكالمة، بقيتُ شاردة لبضع دقائق، ثم شربتُ كأس ماء.. ونظرتُ الى ملامح وجهي في المرآة، وأنا أتخيل القناع الذي سأضعه حالا لأتمالك نفسي، حين سيوصف منفذ العملية بالإرهابي أمامي. تسلحتُ بابتسامة صفراء وعدتُ الى العمل..

لا تفارقني ابتسامته الرائعة.. وأجلد نفسي بالسؤال لماذا؟

قد رأيته قبل شهرين، كان رائعا ومليئا بالحياة كما هو دومًا.. لماذا اختار هذا الدرب؟

***

أنظر فجأة حولي وأنتبه لأقول لها: . أتعلمين كانت المرة الأخيرة التي رأيته فيها، هنا في بيت عمي ابراهيم. ضمن افتتاحه مركزا ثقافيا في الطابق السفلي من البيت.

تنظر إلي باهتمام، وهي تدون هذه المعلومة. وأعود الى قصتي.. لم أستطع أن أبكي في ذلك اليوم خلال العمل أو في الطريق بين العمل

والجامعة، فقط حين قال لنا أستاذنا، إنّه سيكلفنا هذا الفصل بإجراء بحثٍ عن الهبة المندلعة في القدس، أجبت إيجابا بحماسة، وقد صار الموضوع يخصني أكثر من أي وقت مضى.

مساءً قلبت صوره المنشورة على مواقع التواصل، أحاول أن أستوعب الحقيقة الجديدة أنّه أصبح لدي صديق شهيد، رحت أراجع كتاباته على صفحته، أقرأ وصاياه، وأحاول التذكر هل قرأتها قبلا أم لا؟ وأتساءل كيف هو حال العم محمد الان؟

يقترب موعد نشرة الأخبار، وأنتظر ما ستقوله القناة الاسرائيلية الثانية عن العملية.. سأرى وجه صديقي، الجميل الودود، النشيط اجتماعيًا وثقافيًا، سيصفونه بالإرهابي، بعد أن سبب هو وصديقه الذي أعتقل حيًا بجرح 27 شخصًا وقتل شخصين أصبحوا فيما بعد ثلاثة.. كنتُ بعيدة عن شاشة التلفاز حين سمعتُ اسم أحد القتلى، ازدادت نبضات قلبي.. حين استوعبت أنّ الاسم مألوف.. سارعتُ صوب التلفاز، حتى أرى صورة القتيل، لأطمئن أنّها ليست لأستاذ درسني الصيدلة في الجامعة العبرية.

أتصل بالعم محمد، أتصل بحسام شقيق بهاء.. وما من رد، يصلني خبر باعتقال حسام. فأتصل بالأصدقاء.. لنعبّر عن حيرتنا وحزننا، وبدأت منذ ذلك اليوم 13\10\2015 سيرة جديدة من التساؤلات والوجع.

تمنيتُ الوصول في أقرب وقت إلى بيت العزاء، أردتُ النظر في عيون العم محمد، النظرات أقوى من أيّ كلمات، لكن المواجهات التي اندلعت،

والحواجز التي وُضعت، جعلت الجبل أبعد أكثر من أي وقت مضى. انحصرت الدموع في عيني تأبى أن تمضي بعيدًا عني بنيرانها، لم تبدأ بالتساقط إلا بعد يومين حين غادرتُ القدس، صوب قريتي في الجليل، عندما دخلتُ القرية ورأيتُ هدوء الشوارع، فهمتُ معنى الموت الذي نحياه في القدس، بدأت دموعي تسيل، وانفجرت كلّها حين وصلتُ حضن أمي..

تلك الدموع الحارقة، بقيت تتجدد في انتظارات لم أعرف مثلها من قبل..

فهمتُ أكثر من أي مرّة سابقة أيّ حرقة ووجع تحمل الشهادة.. وبدأت تساؤلات تلوح، وتزداد قوتها.. ألحّت بقوة حين التقيتُ المرّة الأولى العم محمد زميلي في ندوة اليوم السابع، بعد استشهاد بهاء، ألحّت حين دخلتُ غرفة بهاء وتأملتها قبل هدمها، حين رأيتُ حنان عائلته على البيت، وتنظيفه رغم توقعنا حضور قوات الاحتلال لهدمه خلال بضع ساعات، حين علمت أنّ الدفن سيطول ولن يكون في غضون أيام.. وحين ازداد بشكل مرتفع عدد الشهداء.. وبقينا في ذات النقطة نطوف حول أنفسنا.. ليطلّ سؤال بهاء الأخير لأبيه قبل العملية، علي كل يوم: "شو رأيك بالوضع يابا؟ لوين رايحين؟"

السؤال الذي لم يجد له العم محمد جوابًا شافيًا، واستشهد بهاء ربّما سعيًا للوصول الى إجابة عليه.. ما زال ذاته لم يتغير.. "الى أين؟ ماذا في الغد؟"

ها نحن هنا بعد كل هذه الأشهر.. أكثر من عشرة أشهر وهو معتقل رغم موته، في ثلاجة..

يطلّ ظلّ دمعة في عيني وأنا أقول لها: يصعب أن يتخيل أحد ما قسوة أن تنتظر دفن شخص يخصك.. أن تنتظر موعدًا مجهولا.. أن تنحصر آمالك في رغبة بديهية بدفن شخص قد توفي..

هذه القسوة تجلدك، حين تطلّ في يومياتك فيكون أول فعل تفعله هو البحث والسؤال، هل هُدم البيت أم لم يهدم بعد؟ هل عاد الجثمان أم لم يعد بعد؟

وحين تعدّ دراسة وترى أنّ مئة وعشرين شابًا من زهور وطنك، رحلوا خلال ثلاثة أشهر فقط.. وأنت والوطن في ذات المكان، في ذات النقطة دون أي تقدم.. تكبر مساحة التيه، في حين يستمر الموت في أنحاء المدينة والوطن لأشهر أخرى، حتى صار أكثر شيء طبيعي، ووجدنا أنفسنا هنا في فترات نخرج من البيت لا نعلم هل سنعود أحياءً أم لا؟ فقد صار كلّ عربي موضع شك، ومدان حتى تثبت براءته.

أصمتُ لحظة، ثم أضيف: أتعلمين نحن الجيل الشاب في فلسطين، لم تعد لدينا آمال كبيرة، نحن نعلم أنّنا وحدنا.. لن يساعدنا أحدٌ من الخارج، ونحن أنفسنا فقدنا الثقة في قياداتنا وأحزابنا، ازدادت وحدتنا الذاتية، وكل فرد يحاول أن يعثر على إجابة السؤال، بطريقته.. فالمستقبل غائم جدًا ولم نعد نتمكن من تخمين الاحتمالات.. حتى من الصعب أن نخطط للمستقبل البعيد.

تنهدتُ، وإذ بي أرى دموعها تنفجر دفعة واحدة.. موجة حادة من البكاء، جعلتني أمنحها الخصوصية، وأبتعد عنها قليلا بنظري، لتتركز نظراتي على الجدار الفاصل بين أبو ديس وجبل المكبر، يتسلل الجدار بإطلالته من شق الباب المجاور لكنبتها.. أتأمل رماديته، وسخريته من وجودنا ومن إجابات غدنا.. حتّى هدأت.. فقالت: انا آسفة لكن ما قلتِه حقيقي ومؤثر جدا.

ثم سألتني: هل من معلومة متى سيتم تحرير الجثمان؟

أجبتُ: كلا.. في كل فترة يكاد يتم الوصول لاتفاق ويفشل.. الله أعلم كم ستطول هذه المدة.

صافحتني الصحفية البرتغالية ألكسندرا لوكس بحرارة قبل أن نفترق مغادرة بيت العم ابراهيم، على أمل أن يُدفن بهاء قريبًا.

***

بعد مرور أيام.. وحين رأيتُ صور العم محمد وكتاباته هو وحسام (شقيق بهاء) صباح الأول من أيلول، احتجتُ أن أقرأ الكلمات مرّات عديدة حتى أستوعب أنّ بهاء حقًا قد تحرر، وأنّه في حضن التراب.. لم أعلم في ذلك الصباح هل أبكي أم أضحك؟ كم من الصعب أن تنتظر أسيرًا يتحرر من حضن السجن، وما إن يخرج حتى يأخذه حضن المقبرة!

سارعتُ بالاتصال بألكسندرا لإخبارها، ففرحت كثيرا، ها هي ستتمكن من اتمام فصول قصة صحفية أخرى عن الفلسطينيين، الذين

تؤمن بقضيتهم، وتعود كلّ بضعة أعوام لتكتب عنهم، على أمل أن توصل رسالتهم لأبناء شعبها من البرتغاليين.

كانت قد سألتني في ذلك اللقاء: هل أنت سعيدة باستشهاد بهاء..؟

تساءلتُ: هل يفرحُ المرء بموت شخص عزيز عليه؟ كنتُ أتمنى له لو بقي معنا، كان عمره اثنين وعشرين عاما، وقدم خلاله الكثير لأبناء منطقته بشكل خاص وللقدس بشكل عام، بنشاطه الثقافي الغني.. حياته كانت غنية وثمينة ليتها طالت أكثر، فهي أثمن عندي من هذا الموت.. ربّما نحتاج لإعادة النظر في نضالنا الوطني، أن ندرك أنّ النضال المسلح لا يساعدنا أو يقدمنا هذه الفترة، نحن نحتاج لأن نعيد بناء أنفسنا، أن نطور عقولنا وثقافتنا وإعلامنا واقتصادنا، وأن نتوحد، نحتاج لكل هذا ولحياتنا في سبيل الوطن قبل أي خطوة أخرى، في هذه المرحلة بالذات.

وفي النهاية بهاء اختار تلك الدرب لأنّه ربّما رآها الإجابة على تساؤلاته.. وسيختار كلّ فلسطيني الدرب التي يراها هي الأنسب في الوصول الى حلمه بفلسطين، سيستمر هذا حتى نقترب بحلمنا الى الحقيقة.

***

الان عامٌ كامل يمرّ من يوم كان استثنائيًا بالنسبة لي خلال هبة القدس الأخيرة، رحل بهاء مخلّفًا الكثير من التساؤلات في نفوسنا.. أهمها، لو صار لي طفل ذات يوم، وسألني ذات السؤال: لوين رايحين؟

هل ستكون لدي إجابة؟

اليوم وفصول جديدة من الوجع مع المدينة تبدأ.. أتساءل ألم يحن الوقت لنتوقف ونتساءل إلى أين؟ قد جربنا الموت كثيرًا، لنجرب الحياة، فالوجود والبقاء على قيد الحياة في القدس هو نضال كذلك..

لنحاول مرّة أخرى صياغة رؤية جديدة، فما يزال هذا الوطن يستحق أن نعيش لأجله.. ليكبر فينا ونكبر فيه.

2

<u>بيت</u>

البيتُ مثلهم يجلس بكامل الهدوء.. منتظرًا حلول المساء.. يتأملهم وهم ينظفونه ويكفنونه.. نظيفًا جميلا مثلما كان حين ابتنوه. سيسقط واقفًا.. وهو يسترجع الذكريات.. جلساتهم عند الأصيل على الشرفات، صدى الضحكات وظلال صغارٍ صاروا كبارًا.. غاب أحدهم.. فحُكم على البقية بالغياب.. وعليه بالإعدام.. وعندما سيسمع وقع النعال الثقال لن يخاف.. سيُغمض عينيه وسيذكر وجهًا بهيًا علّق نجومًا تضيء فضاء غرفته عند المساء، وغاب.. ماذا سيقول له لو عاد، وما رأى النجوم، ولا عثر على باب..؟ ماذا سيقول؟ فقد كان الفتى يحلم بالحياة

لم يعد الكلام يغطي الوجع

نجاة نصر

ثلاث مرات قبل صياح الديك تنكرتُ للثلج بين أصابع قدم بهاء، وجسده يمر بين أزقة الحلم عاريًا الا من الحياة... ثلاث مرات أقمتُ صلاتي بمعبد الوجع... من ذلك الشاب طويل القامة، عريض الابتسامة وليد الصمت الذي يتبعني، كلما جبت شوارع القدس. ماذا يريد مني، لماذا يلحق بي مثل ظلي؟! يجلس على الرصيف كلما جلست أنا على مقعد يتيم عند قارعة الوقت بالقدس. الوقت بالقدس من ثلج وشمس حارقة، وخطوات بحجم البهاء.. ماذا يريد مني هذا الشاب!؟ قررت أن اتوقف وأباغته بالالتفات صوبه لأسأله ماذا يريد؟! أحتاج ان اعرف من هو... يا غبائي...يا غبائي الموجع... كلما إلتفت للخلف غاب الظل خلف الشمس، وصار بحجم البهاء... شاب من ثلج وقبضة شمس هو، طويل القامة يمشي بهدوء الرجل الذي فيه، يشاكس بشقاوة الطفل فيه، ويتحدث بلسان العاشق لوطنه. قيل لي اذا اردت فك سر هذا الشاب أمضي صوب رجل من وجع وإبتسامة، يجلس خلف كلماته ويمسك بيده اليسرى الظل الذي يتبعكِ، وبيده اليمنى يمسك بقنديل السماء، فولده صار البهاء... حملتُ روحي وسرت صوب الزهراء، مكتب متواضع بالطابق الثاني في عمارة بالشارع الخلفي... صعدت الدرج، دخلت المكتب، جلستُ قبالة الوالد. وفجأة قفز الظل لعيني والده. صرخت بصمت المتفاجئة بي، ماذا يحدث

هنا!؟ كأن الرجل النبيل الذي أعد فنجان قهوة لي إلتقط الحكاية. وضع فنجان قهوته ووقف أمام نافذة المكتب، نظر صوب الشارع، صوب الافق. تنهد وقال": لا تقلقي، هذا البهاء الذي كان ذات نهار طفلي، كبر دون أن انتبه له، فصار بحجم البهاء الذي للكون. وبدأت حكايتي مع البهاء....ظلي الذي يرافقني جولات القدس التي تسكنني.

2

شرفة المجانين(كما يطيب لمحمد عليان أن يسميها) بشارع الزهراء على مرمى نظرة صوب الجبل الذي شهد صلب يسوع، جلستُ قبالة رجل من وجع، يبتسم والمسامير تنهش روحه الماً. أن تطلب لإنسان أن يهيئ لك طقوس البكاء حفلة بكامل زينتها، وترجوه أن يسمح لك أن تعمد روحك بالوجع الذي فيه، قمة الجنون. منذ ثلاثة أيام أجتهد لأكتب عن اللقاء الذي جمعني بالانسان المفرط بإنسانيته محمد عليان، بمكتبه، تحدثنا لبضع ساعات، مر فيها الوقت كأنه لم يمر، حدثني عن جوانب من ذكريات جمعته بولده الشهيد العاشق للحياة، تحدث أكثر عن ذوي الشهداء، وعن الجثامين المحجوزة بثلاجة الاحتلال، تحدث عن تفاصيلهم بدقة الخائف عليهم، للحظة شعرته يذهب كل ليلة ليتفقدهم، يمسح الثلج عّن أجسادهم، تنهمر دمعة دافئة، حرارتها تنقذ الجسد من لحظات البرد القارص الذي ترتشف الدم بالعروق التي أكلها الانتظار، ويشد الغطاء الابيض فوق الجثامين، ثم يعود لفجره بكامل تفاصيل الوجع.

موعد بثلاجة الاحتلال، حددناه للقاء القادم، وعممنا الدعوة لتشمل كل من ينتمي للأرض التي تشبهنا وتفهم علينا، وحده من حضر، ليرتب الورد هناك، ويزيل الثلج عن الاجساد التي ما عادت طرية، هي مثل ألواح الخشب قابلة للانكسار، لكنها أبداً عصية وهي تحتضن بعضها البعض.. وأنا أُرتبُ كلماتي كان السؤال الاكثر وضوحاً وتعطشا للإجابة،" لمن أكتب؟ تحدثنا كثيرا وحلمنا كثيرا هو قبض على الوجع بجمر القلب وأنا لذتُ خلف الصمت، مرات كثيرة كنت أبتسم، وفي بعضها كنت أضحك، كنت أهرب من غابة من الوجع لأنجو من وهم الفرح. وظل السؤال": لمن أكتب، من يهمه وجع هذا الرجل، من يهمه أن يسمع صوت البكاء الآتي من أرض الحزن الحقيقي؟ ظل السؤال يدق أجراس القلب المسكون بمرارة الفرح الذي فيّ. عندما غادرت الشرفة، نسيتُ جناحيّ هناك، لم استطع أن أحلق، لم أستطع أن أجمع شظايا فؤادي، لم أحاول أن ألملم كلماتي عن ألواح البِلوّر الكثيرة، والتي كانت تسير خلفي وأمامي وتهددني بالسقوط حد الانكسار. لم تعد الحكاية بحجم الكلام. لم يعد الكلام يغطي الوجع، لم يعد لدينا متسع من الحزن، لم أعد قادرة أن أبوح لروحي بالجروح الكثيرة، تلك الجروح المصنوعة من الثلج العالق بين أصابع الجثامين المحجوزة بثلاجة الاحتلال. شرفة المجانين جلس بها العديد من المثقفين، أين أقلامهم، لماذا لم يحولوها لمشارط يشرحون فيها الحقيقة لتتفتق عنها الحكاية، فتعري هذا العالم أمام حقارة موقفه من أجسادنا العالقة بحبل الريح؟ بشرفة المجانين شرع محمد عليان نوافذ البهاء ليتسرب

النور للقلوب التي ارتشفت قهوتها بالمكان المطل على الحرم، لماذا لم يحمل ولا واحد صليب وطنه، ويسير عبر درب الآلام، لماذا لم يأخذ كل واحد حصته من الوجع ليصنع منها مركبا يعبر من خلاله لشواطئ البشرية علها تصحو من سباتها. بذات الشرفة كتب عليان كل قصائد الفرح الذي به وقصيدة وحيدة يتيمة، فستانها من حزن يقتل ببطئ، ويذبح من الوريد للوريد. قصيدة كعبها يصنع منها أنثى جمالها يخيف الناظرين لها. ورسم بذات الشرفة لوحة من حياة مفعمة بالحياة، وحفنة تراب أخذها عن وجه ابنه حتى لا يضيق القبر عليه، وحتى لا تختنق فكرة الموت فيه، فينتصر على الموت ثلاث مرات قبل صياح الديك، فيصير بحجم الوطن أو أبعد. وللحكاية تتمة من ثلج ووجع وقطعة نار بات البرد ثوبها الطويل.

انتصار ثقافة الحياة

جميل السلحوت

جثمان البهاء في أقرب نقطة إلى السّماء وأخيرا عاد بهاء فلسطين إلى حضن أمّه الأرض، عاد إلى قلبها الذي يعتبر البقعة الأقرب إلى السّماء، عاد على مرمى دمعة من معراج خاتم النّبيّين صلى الله عليه وسلم، عاد بعد احتجاز لجثمانه لمدّة 332 يوما، ودّع البهاء الحياة الدّنيا في 13 اكتوبر 2015، فاحتجز المحتلون جثمانه في ثلاجات، ضمن سياسة العقوبات الجماعيّة التي تفرض على ذوي الشّهداء، لكنّ والدي البهاء صبرا واحتسبا أجرهما على الله، تألّما وعانيا ألَم الفراق بصمت، وهما على إيمان عميق بأنّ روح البهاء حرّة طليقة تحلّق في السّماوات العليا، وتجوب فضاء القدس ومسجدها الأقصى. رفض المستكبرون بطغيانهم وقوّتهم دفن جثمان البهاء في مقبرة بلدته جبل المكبر، أو في منطقة "الحرذان" في الجزء الشّرقيّ من بلدته، نقضوا الاتفاقات امعانا في التّعذيب النّفسيّ لذوي الشّهيد، لكنّ والدي البهاء انتصرا بإرادتهما وصبرهما، فعاد جثمان البهاء ليرقد في مقبرة باب الرّحمة على عتبات المسجد الأقصى، وبجوار سور القدس العظيم، وهذه أمنية كلّ مسلم أن يوارى جثمانه في هذا المكان المقدّس، وهذا ما لا يعرفه من قرّروا احتجاز الجثامين. البهاء يرقد الآن مرتاحا في المكان الذي ترك بصماته عليه، عندما فكّر وأعدّ وساهم وشارك في أطول "سلسلة قارئة حول سور القدس" في آذار 2013، التي

دخلت موسوعة "جينيتس" وكأنّي بالبهاء يقرأ تاريخ المدينة ويراقب ما يجري فيها من مرقده الآن. البهاء يرقد الآن بسلام ينشر ثقافة الحياة التي تركها في وصيّته، من نفس المكان الذي حمل فيه الكتاب في أطول "سلسلة قارئة حول سور القدس". ووالدا البهاء رغم مرارة الفراق ولوعة القلب على فراق فلذة الكبد فرحين بانتصار ثقافة الحياة، فللبهاء الرحمة والخلود، ولوالديه الصّبر والعزاء، ونشوة الصّبر

ثقافة الموت.. ثقافة الحياة

جميل السلحوت

كلّ الأحياء نهايتهم الموت، وهذه حقيقة يعلمها البشر جميعهم، وان كانوا لا يكترثون بها، وكأنّهم خالدون في الحياة، واذا كانت طقوس الموت والتشييع تأخذ أشكالا مختلفة بين البشر تبعا لاختلاف معتقداتهم وثقافاتهم، إلا أنّ هناك اجماعا بضرورة الخلاص من جثمان المتوفّى بالدّفن أو بغيره، لكن في الأحوال كلها فإنّ احترام حياة الانسان، وحقه في الحياة الكريمة لا خلاف عليها بين البشر، وإن كان البعض لا يسأل عن حياة آخرين لأسباب عقائديّة أو عرقيّة، وما يهمّنا هنا هو طقوس الدّفن وتشييع الموتى في بلداننا، وإذا كان "إكرام الميت دفنه"وهو فضيلة للحرص على عدم تحللّ جسد الميت قبل دفنه، فإنّ ما يجب الالتفات إليه عندنا هو تشييع جثامين شهدائنا وهم "خير من فينا"، فهل ننتبه إلى بعض الأهازيج التي يردّدها كثيرون مثل:"بالرّوح بالدّم نفديك يا شهيد" فهل يُفتدى الشهيد؟ وكيف وهو متوفّى؟ أم أن تكريم الشّهيد يكون بتكملة رسالته التي لقي حتفه من أجلها؟ ثمّ يأتي النّعي في الصّحف سواء من ذوي الرّاحل أو من مؤسسات وتنظيمات وأحزاب، وغالبا ما يتصدّره: "ننعى بفخر واعتزاز...."فعن أيّ فخر وعن أيّ اعتزاز نتحدّث؟ وهل ارتقاء واحد من أبنائنا سلّم المجد يدعو إلى الفخر والاعتزاز؟ وهل ننتظر هكذا ساعة لنبدي فخرنا واعتزازنا بذلك؟ ويصاحب عمليّة التّشييع هتافات

وربما اطلاق عيارات ناريّة، وذات تشييع جنازة شهيد، وكانت الصّحافة متواجدة، سأل صحفيّ فرنسيّ عندما أحضروه لتصوير والدة الشّهيد الثّكلى بعد أن طلبوا منها اطلاق الزّغاريد في جنازة ابنها، فسأل: هل تحبّون الموت؟ وهل تحزنون على أبنائكم عندما يقتلون؟ وهل هذه من معتقداتكم الدّينيّة؟ وأذا كنّا نؤمن بأنّ الشّهداء أحياء عند ربّهم يرزقون، وأنّ لهم ثوابا عظيما، فإنّ الشّهادة لا يعلمها إلا الله، لكنّ المجاهدين يقاتلون لتحقيق النّصر، وهم يتقبّلون الموت في سبيل ذلك، وهم يحرصون على الفتك بالعدوّ لا بأنفسهم .لكنّ الذي يدعو إلى التّفكير، بل وإلى اعادة حساب الذّات عندما يعلن البعض عن فتح بيت العزاء لتقبّل التّهاني باستشهاد الابن! والتّهاني عادة تكون في المناسبات السّعيدة، فهل يسعد والدا الشّهيد وذووه باستشهاد ابنهم؟ وهل لا نحزن على أبنائنا الرّاحلين أم لا؟ ولنتذكر ما ورد في الأثر من أنّ الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام قد حزن وبكى ابنه ابراهيم عندما توفي: "إن القلب ليحزن، وإنّ العين لتدمع، وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" وما الحزن الا صفة انسانيّة تماما مثلما هو الفرح، لكن لكلّ منهما أسبابه، وبالتّأكيد فإنّ الموت ليس سببا للفرح .وإذا كان استشهاد انسان ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز، ويتوجّب تقبّل التهاني فهل هكذا سلوك براءة للقاتل من دم القتيل؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنّه يستحق الشّكر أيضا؛ لأنّه جلب لنا الفخر والاعتزاز، وهذا ما لا يقبله عاقل .ومن الثّقافة التي يجب اعادة النّظر فيها بل وضرورة استبدالها هو الطّلب من أمّ الشهيد أو زوجته، أو

شقيقاته، أو قريباته باطلاق الزّغاريد أثناء تشييعه، ومنعهن من "الزّغردة" والفرح في زفاف شقيقه الثّاني.

بعد ما يقارب العام من دفن الشهيد بهاء عليان، يستذكر والده المحامي محمد عليان، تلك الليلة الطويلة التي استلم فيها جثمان فلذة كبده، ليواريه التراب مرغما في المقبرة اليوسفية، قبالة باب السّاهرة في القدس، بعيدا عن مقبرة عائلته وقريته الكائنة في جبل المكبر، ويستلم الجثمان الذي احتجزه المحتلون لأكثر من عشرة أشهر، يستذكر محمد عليان تلك الليلة العصيبة، وما صاحبها من تلاعب في أعصاب العائلة التي تمّ السّماح لخمسة وعشرين شخصا منها بالمشاركة في التّشييع، وعند منتصف الليل، فلم يكن التّسليم مؤكّدا، وقد سبق تلك الليلة وعود كاذبة، لكنّ الوالدين كانا على وعي تامّ للتّعامل مع الحدث كيفما تكون النتيجة.

ومحمد عليان الأب الثّاكل، عندما يعود بذاكرته لتلك الليلة الطويلة، ينكأ جراحا لم تندمل، ويفتح خزائن قلب أثقلته الأحزان، فليست كلّ الذّكريات جميلة، تماما مثلما هو الواقع في الفقد، فلا أحزان تضاهي أحزان الوالدين بفقدان فلذة كبديهما، فمن سنن الحياة ومع أن الموت لا يقتصر على عمر معيّن، إلا أنّ الغالب في الحياة الطّبيعيّة أن يدفن الأبناء آباءهم، لكنّ المأساة تتعاظم إذا انعكست سنن الطّبيعة، فيدفن الآباء أبناءهم!

ومحمد عليّان الذي لم يغب البهاء لحظة عن وجدانه منذ ارتقى سلّم

المجد شهيدا، وإن تظاهر بالقوّة وتحلّى بصبر أيّوب، وبقي يستذكر بهاءه، من خلال ومضات استمرّ في كتابتها بشكل يوميّ منذ ذلك اليوم المؤلم حتّى يومنا هذا، عاد ليستذكر تلك الليلة الطّويلة جدّا، تلك الليلة التي استلم فيها جثمان البهاء ليواريه التّراب، فاعتصر قلبه وعقله وفكره ليفرّغ ما احتملته الذّاكرة من أعباء أدمت قلبه، فأخذ يبوح بأحزانه، وبالموقف الذي فُرض عليه، ولم يترك له مجالا سوى التّحلي بالحكمة التي تظهر مواقف الرّجال في المحن والشّدائد، فإذا كان الانسان قضيّة كما قالها الشّهيد غسّان كنفاني، فإنّ محمد عليان أثبت للقاصي وللدّاني أنّه "قضيّة" وصاحب قضيّة، فسحب الخاصّ على العامّ، وعبّر عن مواقف الآلاف ممّن ودّعوا فلذات أكبادهم الذين ارتقوا سلالم المجد. ووالد البهاء في ذكرياته عن تلك الليلة الطويلة يفرّغ بعاطفة الأب الثّاكل جبالا وبحورا من الأحزان أثقلت كاهله لمدّة سنتين إلا قليلا، ولم يجد بدّا من تفريغ أحزانه كإنسان يفهم معنى الحياة ويقدّسه، وبالتّأكيد فإنّ تفريغ أحزانه كتابة ليس بالأمر السّهل، فكتب ما كتب بدموعه باكيا، وأبكى بواكيا، مع أنّه لم يستدرّ العطف من أحد، ولم يفرض الأحزان على أحد، لكنّها الطّبيعة البشريّة، وهذه العاطفة الجيّاشة التي باح بها في كتابة رواية البهاء تأتي من منطلق إيمانه بقدسيّة الحياة، وبضرورة ترسيخ ثقافة الحياة التي نادى وينادي بها، وكأنّي به يصرخ بصوت عال بمقولة الرّاحل الكبير محمود درويش:" على هذه الأرض ما يستحق الحياة."

وإذا كانت جدليّة الموت والحياة من البدهيّات التي يعرفها البشر جميعهم، وإن اختلفوا في فهم معانيها، فإن أب البهاء يراها من منظار إنسانيّ ترسّخ لديه بعد فقدان فلذة كبده، ومن هذا الفهم فإنّه يرى أنّ من حقّ الانسان، أن يوارى الثرى عند رحيله من هذه الدّنيا، وأنّ احتجاز الجثامين هو اعتداء على كرامتة الأموات والأحياء وعلى حرّيّة المعتقد الدّينيّ، وعلى حقوق الانسان برمّتها، "فإكرام الميّت دفنه"، وتجربة محمد عليان في احتجاز جثمان ابنه وما يعانيه الوالدان تحديدا جرّاء ذلك، ومن منطلقات إنسانيّة محضة، فإنّه نشط ولا يزال في قضيّة المطالبة بالافراج عن الجثامين المحتجزة لتوارى الثرى، وبالتّأكيد فإنّ محمد عليان بكتابته لرواية البهاء سيرسّخ مفهوم ثقافة الحياة

ما هو آخر سطر قرأته يا بهاء؟

رأفت صوايفة

جرت عادتي في الآونة الأخيرة أي منذ خمسةِ شهور بأن أعتمد على تبني نهج الصدفة في صناعة صداقات جديدة، فأقنعت عقلي الباطن بأنه حتى وفي الوقت الذي أكون نائمًا وجب فيه كوني مهيئًا لصديق جديد، فمثلاً عندما أذهب لإحدى المحال لشراء علبة سجائر -كعمل روتيني يومي لي - ويُقدِم أحدهم بالسؤال عن فكة أقوم بالمبادرة على الفور بوضع يدي في جيبي كي أقدّم المساعدة أو لربما لأفتعل من تلك الحركة مادةً للحوار التي قد تفتح لي عالماً جديدًا بهذا الانسان، أو كأن أمشي في الشارع فترتطم يدي بأحد المارة فأبادر بسرعة بعد تقديم الاعتذار بأن أرفع أحد حاجبيّ وأمدّ يدي للمصافحة ثم أتبعها بجملة " أنا رأفت " وذلك بعد ثانيتين من قراءة ملامحِ وجهه لافترس الاجابة؛ إذا ما كان يصلحُ لتبادل التحية أم لا لتبدأ أو تنتهي من تلك اللحظة حكايتنا.

ومنذ هذا السلوك الذي أسماه بعض أصدقائي "بالمبالغ فيه" أصبح من السهل عليّ أن لا أتناول الطعام وحدي أو أن يكون لي رفيقٌ للمسير وأنا عائد من عملي أو شخصًا أتبادل معه أطراف الحديث بالحافلة في طريقي للجامعة، ليصبح هذا الطبع جزءًا من سعادتي بعد سنواتٍ من السكون والانطواء والانغلاق على النفس، فقناعتي الحالية بأن السفر في

الناس أقوى تأثيرًا في بناء شخصية مثقفة من السفر في الذات خصوصًا بعد رحلة دامت طويلاً في دواخلي.

هذه العادة التي جمعتني بالكثير من الأحبة منذ أن تطبعتها والتي الآن من كلّ عمق ما أشعر به من بؤس سأصفها بالسيئة و السيئة جدًا فهي التي أودت بي منذ ثلاثة أيام بغياب "الإدراك" ونسيان الطعام وحتى عدم قيامي بواجبي في عملي على أكمل وجه كما أحاول أن أكون دائمًا، وما أكتبه الآن هو تحذير من هذا السلوك الذي أوجهه لكل أخوتي من الشعب الفلسطيني، فقد تكون هكذا عادة اجتماعية ذكية في أي مجتمع بالعالم إلا في مجتمعي؛ المجتمع الفلسطيني فهنا تكون قاتلة، كما أتحدث معكم من تابوتي الآن.

بدأت الحكاية قبل ثلاثة شهور في مدينة القدس وفي المسجد الأقصى المبارك على أتم التحديد، فحالي كحال بعض فلسطينيي الضفة الغربية و قطاع غزّة الذين أتيح لهم بأن يدخلوا مدننا الفلسطينية في الداخل المحتل من خلال ما يسمى بتصريح الصلاة الصادر من قبل سلطات الاحتلال كنوع من التسهيلات في شهر رمضان الفضيل كما يدعون، أو كما أسميته بإذن خطي بدخول زوجٍ على زوجته التي عقد قرانه عليها منذ الأزل، في ذاك اليوم كنت أخطو في الساحات نشيطًا مجنونًا متفحصّاً كلّ حجر وملتقطًا الصور لكل قِبة ووجهٍ أصيل تائهًا في أزقة الأسواق ودولاب التاريخ ومعقلِ حضارة فلسطين الأم، فأهبّ بالتعرّف على الجميع، من

الطفلة "حنين" بائعة الفطائر، لباعة التحف، إلى المصلين والسياح، مستعينًا بكلّ ما أوتيت من بأس وصلابة قدم بأن أظل مستمرًا بعزمي على الحركة فقد لا تتاحُ لي الفرصة مرّة أخرى بأن أزور المدينة المقدسة، ومن الأماكن التي ليس من الممكن أن أفوّت زيارتها كانت مكتبة المسجد الأقصى المسماه بِ "المكتبة الختنيّة"، وهناك كانت تنتظرني القنبلة الموقوتة التي انفجرت بي بعد ثلاثة شهور، كان شابًا حنطيّاً أنيقًا بملامح عربية أصيلة وصوتٍ جهورٍ عميق بحضور يملأُ المسرب المؤدي لبوابة المكتبة، يلتفّ حوله حشد من الأطفال يلبسون زيّ الكشافة ويستمعون بإنصات تام لنصائحه في تنظيم المكان، سرتُ إليه بخطوات المعجب ورميت بأول سهمٍ لي في أرض معركة الودّ والذي كان سؤالاً مباشرًا:

عذرًا، لماذا تغلقون أبواب المكتبة ؟

لم يجبني على السؤال واختصر علي الطريق وقال إنه من لجان التنظيم في الحرم ضمن مجموعة كشافة جبل المكبر وعرّف عن نفسه بالاسم.

تقمصتُ حينها دور المهتمّ وعدتُ لموضوع المكتبة، فقال لي بابتسامة عريضة:

ما هو الكتاب الذي تريده لأحضرهُ لك ؟

ارتبكت، فقد وضعني في زاوية لا مجال لي بأن أفلت من فكها باجابة رصينة، فقلت له بلا وعي:

صدقًا لا أعلم نوع الكتب في الداخل ولا عناوين تحضرني الآن في رأسي، فقد كنتُ أعلم أن المكتبة إسلامية وليس لي في هذا المجال الكثير.

ولكن فهمت بعد دقيقة مع نفسي المغزى من سؤاله؛ فالمكتبة للقراءة وليست "استديو " للتصوير، وأنا معه بالرأي فقد أصبح المسجد الأقصى هذا العام ساحة كبيرة لهواة العدسات وعبثها..

التصقتُ بحذاقته وتعرّفنا على بعضنا في لقاء لم يتجاوز الثلاثين دقيقة..

قال فيهنّ جملًا حكيمة موزونة لن تغيب عن ذهني الذي أقومُ منذ ثلاثة أيام بعصرهِ بكدّ وتعب شديدين كي أعود بذاكرتي للمكان والزمان اللذين التقيت فيهما "بالشهيد بهاء عليان" عندما كانت مادة حديثنا عن القدس وعن إنجازات وفعاليات كشافة جبل المكبر وعن فعالية القراءة حول أسوار القدس التي استطاع فيها جمع عشرة آلاف فلسطيني يحملون الكتب ليُدخلَ بقدسيّة المدينة التاريخ لكن بروح الثقافة ضمن موسوعة "غينيس" للارقام القياسية، وليعيد لفكرتي رعشة الحياة التي أردتها في مضمار آخر وضمن عنواني الذي لن أتركه وهو أن الثقافة والتعليم بوصلة الشعب الفلسطيني للوعي الذي سيقود مركبة هذا الوطن لبرّ الحرية والاستقلال..

لكن كل ما أقوم به الآن هو لعنٌ متكرر لعادتي في اقتناص البشر من الطرقات الفلسطينية لأضعهم بعدها في جيوب قلبي ورفوف ذاكرتي والتي

أحاول أن آخذ عهدًا على نفسي بالتخلي عنها، فهذه العادة مؤذية لشخص يعيش بين شعب من الشهداء التائهين عن أشكال نهاياتهم والذي وضعهم القدر صفًا في طابور جرائم الإحتلال غير المسؤول والعابث بلا مبالاة بمستقبلهم.

وأنا الآن في حشدِ هذا الفقد مع حضرةِ السؤال الغريب الأطوار؛ الشهيد بهاء عليان المثقف والذي تشهدُ لهُ كل حجارة القدس وكل وجوه المقدسيين بأنه البالغ العاقل الراشد المثابر المبادر، سؤالي له في بطن غيب اللحظة هو: " ما هو آخر سطرٍ قرأته يا بهاء،لتصير بكل هذا البهاء ؟"

حبوب سنبلة تموت ستملأ الوادي سنابل

ماجد الدجاني

بهاء يا أجمل السنابل يا من حملت مهجة المقاتل دماؤك الزكية ارتقت فشكلت مزنا من السحاب وادقا فامتلأت في وطني الجداول، عرفتك صامتا وكان صمتك توقدا وثورة لا تعرف الإعلام والرياء، ما خرجت بطرا وئاء الناس، استشهادك يذكرني بقصيدة أجمد فؤاد نجم: جيفارا مات لا طنطنه ولا شنشنه ولا إعلانات، وكأني بك أبا ذر الغفاري: يموت وحيدا ويبعث وحيدا غريب أنت بصدقك ونقائك في زمن الرويبضات، فطوبى للغرباء كم قرعت طبول رمضان والكشافة وكأنك تريد 'يقاظ الفكر والثوره والضمائر النائمه كم كتبت لك وعنك كتبت ما يكفي لإصدار ديوان شعر، وكم أتمنى أن يصدره والدك ومع ذلك تحذلني الكلمات وتسبق كلماتي الدموع.

أتدري يابهاء أن وراء كل قصيدة مدى من الدموع جرحتني؛ أتدري يا بهاء أن شيماء تقتلني بالحديث عنك.. عن آخر كلماتك لم يستطع أحد أن يهتك أسرار فكرك كان صمتك إعصارا وعينك فوهة بركان، اعذرني يا بهاء دموعي ملأت لوحة حروف الحاسب، بهاء يا ثالثة الأثافي في موقد حزني ثائر ومحمد ولداي المرحومان، وأنت ثالثهم وبهاء ثالثة أثافي ثائر محمد وثالثة أثافي موقد حزني بهاء عليان ،وبهاء ثالثة الأثافي والقلب جمر في

الشغاف، والنار في قلبي لظى هي مرجل ليس بخاف والدمع في عينيّ يجري ما لدمعي من جفاف حزنى تقزّم عنده أدب البلاغة والقوافي تنهكني الكلمات وتقصم ظهري وقد يظن البعض أني أبالغ ولكن يا ليت قومي يعلمون كتبت لأبيك مرة: من بدفيء منا بجليد مشاعره قلب الآخر؟ من يغسل منا بمدامعه دمع الآخر؟ من ينزع من كلم في الروح عميق نصل السهم الغائص ليضمد جرح الآخر؟ بهائيات والدك نصال في قلبي (أتدري يا بهاء)مدى بروحي وفي الأضلاع رمي بالنبال (بهائيات)خل لي خليل بقلبي والضلوع كما النصال إلى الخلد يا بهاء يا معلم هذا الشعب منهاج النضال إلى جنات خلد يا بهاء لمثلك أنت تنفتح السماء ولا يروى ثرى الأوطان حقا إذا لم تروه من الدماء إلى الخلد يا تموز فلسطين يا من ذهبت إلى وادي الموت؛ ليعود الربيع وفي أذني صوتك يهدر: أنا ما عشقت الموت إلا من هيامي بالحياه

عن الشهيد ووالد الشهيد

اسامة العيسة

1

ابن الكاتب..! محمد عليّان، بالنسبة لي، هو صاحب المجموعة القصصية الأهم عن تجربة الأسرى في سجون الاحتلال. وجدت طريقة لذكر ذلك، في روايتي (المسكوبية)، تقديرا وتذكيرا. لقائي قبل الأخير بمحمد عليّان، كان في عام 1985. نظم اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ندوة مشتركة في مجمع النقابات المهنية في بيت حنينا، لمناقشة مجموعة محمد عليّان، وروايتي القصيرة-قصتي الطويلة (الحنون الجبلي). كتب عليّان، قصصه خلال سنواته الطويلة في السجون، واعتنى بنشرها، بعد ان تُهرب من السجن، في مجلة الكاتب، جميل السلحوت وإبراهيم جوهر. بقدر ما تلقى تعظيما من المنتدين، تلقى نصي تقريعا...! أصبح عليّان، حرًا (طبعا تلك الحرية النسبية). كان أحد الذين شملتهم صفقة تحرير الأسرى الشهيرة. يتابع محمد الانتفاضة الفلسطينية المندلعة، بروح أدبية.

2

قائد استمع عبر التلفاز إلى نبأ استشهاد مواطن شاب برصاص جيش الاحتلال، أجرى اتصالات عاجلة مع أبنائه، اطمأن إلى وجودهم دون "أذى"، تنفس الصعداء وهمس: "الحمد لله". في وقت مبكر

3

كتب ما لا يمكن أن يُنسى: صحافية شابة تدعي الذكاء تسأل والد الشهيد " كيف تشعر وأنت تفقد ولدك الوحيد؟" الوالد المثكول لا يستطيع كبح جماح دمعة حرّى؛ انطلقت فيشيح بوجهه عن الكاميرا ويغادر إلى حيث يتشظى في "بركان" من وجع. لن أسالك يا محمد عن شعورك بغياب بهاء. لن أهنئك، فلا فرح بالدماء، ولن أُعزيك، وأنا أقرأ وصايا بهاء العشر التي كتبها "لأي شهيد". في الواقع نحن بحاجة إلى العزاء..!

4

!..منفذ عملية الباص، في القدس الغربية، يوم 13-10-2015م، فاجأ مَنْ عرفوا هذا الفنان، المبادر، المثقف، أحد منظمي أطول سلسلة قراءة حول أسوار القدس، التي دخل بها موسوعة جينيس. المفاجىء، استحدث صفحة على الفيس بوك باسم الشهيد بهاء عليان-شخصية اعتبارية قبل أكثر من عام من اليوم الموعود. في 8 أغسطس 2014 كتب، مصمم الاعلانات، تحت عنوان (عندما استشهد): "ستتفقدون صوري وتبحثون عن أجملها، لوضعها على الآرمات وطباعتها على بلايز.. ستتفقدون رسائلي معكم وتتذكرون أجملها.. ستتذكرون أجمل لحظاتي معكم.. ستتسابق الصحافة لأخذ الحصريات من عائلتي.. ستقول لكم أمي ما كان أخر كلامي لها.. سيبحث المصور عن طفلٍ يبكي وأم تصرخ وأخ مقهور.. ستقولون

كان شابًا في مقتبل عمره.. ستغضبون وتتظاهرون يومًا أو يومين.. ستسيرون في جنازتي وتصرخون بالهتافات والتكبيرات.. سأترك لكم ملفًا يحتوي على تصاميم لبوسترات وآرمة وتصاميم متنوعة لبلايز..كوني لا أثق بذوق المصممين من بعدي..!" يا له من فنان متطلب..! في 12 ديسمبر 2014 نشر ما سماها (الوصايا العشر لأي شهيد)، التي يقدم والده الكاتب محمد عليّان، تأملات فيها، لا تخلو من دبابيس موجهة، لمتجاهلي الوصايا خصوصا من الفصائل. في الأيّام الأولى من اكتوبر 2015، انشغل بإطلاق جنود الاحتلال النار، على الفتاة اسراء جعابيص، واعتقالها، وهي من جبل المكبر مثله، بدعوى انها تنوي تفجير سيارة مفخخة، وهو ما اتضح لاحقا بانه غير صحيح. يوم 13-10-2015، الموعود، فاجأ المفاجىء، المتفاجئين، بتنفيذه عملية الباص!..

5

أخر المعلومات المتوفرة لدي، حتى تحرير هذه الكلمات، بان الرئيس، هو موظف لدى المواطنين، يتلقى راتبه، والمصاريف التشغيلية، مِن الخزينة العامة. ولم تخني الذاكرة بعد، حتى لا أتذكر بان الرئيس يعي ذلك جيدا، وحاول، مع مرشحين آخرين للمنصب العتيد، إقناع الجمهور، مَن الأفضل بينهم للعمل لديهم بوظيفة رئيس، وذلك، بطرح برامج، وتنفيذ حملات انتخابية. بالطبع أعلم، بان الأمور، لا تسير في بلادنا، ولم تسرْ على النحو المرتجى، ولا شك بان الجمهور (أرجو ملاحظة الفرق بين الجمهرة والمواطنة؟)، يساعد على أن تسير الأمور على النحو الذي نراه،

والذي يصبح فيه أي منصب مدعاة للتهاني، والاحتفال، من الخفير إلى الوزير، وما ينشر على الفيس بوك، من سيل تهاني النفاق، يؤكد ذلك. وسأظل مستغربا، كيف يمكن ان تكون وظيفة عمومية، أو نقابية، مستجلبة للتهاني، وكيف يقبل المُهَنَؤون بذلك. يبدو ان الزميل الكاتب محمد عليّان، والد الشهيد بهاء فلسطين، لديه عتب على الرئيس فكتب: "سيدي رئيس دولة فلسطين لا بأس أن تلتقي وفودا إسرائيلية في حين ما زال طلب ذوي الشهداء ترتيب لقاء مع سيادتك عالقا دون رد، ولكن ربما، وأنت تؤكد على وجود التنسيق الأمني مع دولة الاحتلال، أن تتذكر بان عشرة جثامين لشهداء الوطن ما زالت تطلب، بكل حق وإلحاح، دفء تراب فلسطين". ورغم مشاعري تجاه عليّان، وجميع عائلات الشهداء (وهي مشاعر غير مفيدة لأحد)، إلّا انني، أطلب الإذن من الصديق محمد لأتساءل: مَن الذي يتوجب أن يطلب موعدا مِن مَن؟ أرجوك يا والد بهائنا جميعا، أن لا تطلب شيئا من أحد..!

وقالوا فيهِ

الشِعرِ والغِناءْ

،،،... و هُنا الهاء ۰

سَلّمْ على جار السّماء !

يا ثلج كُنْ دِفْئًا على أنفاسه كُنْ يا صقيع سلامهُ

إن الشهيدَ مُقَدَّسٌ كالأنبياءْ !.....،،

وصية بهاء

ماجد الدجاني

ما فلسطين شعار أو قصيده
ما فلسطين أحاديث مجلات وأخبار جريده
ما فلسطين نزاعات وأحزاب عديده
إنها شعب تحدى
وتصدى نازعا يوما قيوده
قيد فكر.. قيد روح
قيد أقلام قعيده
قيد إعلام إلى آخره
وعلى الأقصى سيعلي
وعلى يافا بنوده
إنها شعب أبيّ
ليس يرضى
لعلوج أن تقوده
ومضى بالعروة الوثقى إلى النصر
وخطوات وئيده
إنها مرحلة الوعي الجديده
فانتظر في بيتك الأبيض يا خصم شعوب

أنت في عين الفلسطيني دوده

قرديّ أنت يستدعي متى شاء قروده

إنما نحن بني كنعان ما كنا عبيده

إلى البهاء

لينا أبو بكر

طلقة:

و هُنا البهاء.

سَلّمْ على جار السّماء !

يا ثلج كُنْ دِفْئًا على أنفاسه كُنْ يا صقيع سلامهُ

إن الشهيدَ مُقَدَّسٌ كالأنبياءْ !

حكمة البهاء:

الخلود انْزِياحٌ سِرّيٌّ للوُجودْ !

حكمة العدو:

اقتلوا الشهداء أولا...فوحدهم يحرسون السماء !

حكمة الثلاجة:

يا دمع أمي يا ماء السماء... الجو هنا دافئ في الطريق إلى حمّام الملائكة.

حكمة اللاجئ:

الشهداء عائدون إلى السماء !

حكمة الجنود:

الشهداء أشرف المحاربين.

مقاطع من قصيدة " حجر السماء " التي يضمها كاملة ديواني: " حجر الموشكا – الحب مع الذئاب " !

(خِفافًا ..

مِنَ الْغَيْبِ جِئْنا إلى الْغَيْبِ عُدْنا

فَنَحْنُ انْتَمَيْنا لِأُمّ السّماءْ

بِلادٍ... بَنَتْها

مَلائِكَةُ الرَّبِّ بينَ الخُلود وبيْنَ الحُدودِ

فأبْناؤُها أَنْبِياءٌ.. و سُكّانُها نازِحونَ

و حُرّاسُها شُهَداءْ

****

ونحنُ الذينَ نَعودُ إِلى اللهِ بعدَ صَلاةِ " الشّتاتْ "

نُوَدِّعُ أَطْفالَنا بِالّزغاريدِ والأُغْنِياتْ

وَ نَرْتاحُ بَيْنَ الأسير وَ بَيْنَ الأسير
نُعِدُّ فطورَ الصَّباحِ لِزُوّارِهِ مِنْ بِلادِ المَصيرِ

و نَخْتارُ إِسْمَ أَبيهِ الشَّهيدِ
لِأَجْلِ شَهيدٍ جَديدٍ سَيولَدُ، حَيْثُ الشَّهادَةُ إِحْدى
صِفاتِ الْوِراثَةِ، أَأْمَنُ مُعْجِزَةٍ في
فُنونِ الْبَقاءْ !
نموتُ بِلا وَطَنٍ.... ونعيشُ بَهِ.. لا
قُبورَ لنا فيهِ لكنَّ فيه شواهدَنا... حين نرحل نأخُذُ كُلّ شَهيدٍ
لَنا مَعنا لَكأنَّ حَقائِبَنا في الرحيلِ
سماواتُنا... و كَأَنَّ الذي راحَ...جاءْ

نُمارسُ في الْحربِ خِفَّةَ (مَرْيامَ *) في سُرُرِ الآلِهاتْ
فَحينَ نُحِبُّ نخوض الحروب

كَأَنْصافِ آلِهَةٍ نَتَبارَزُ بِالْقُبُلاتِ
كَنْجَم الصباح وَنَجْمِ المَساءْ

وحينَ نُحارِبُ نرْقُص مِثْلَ
عَشيقٍ..
يُرَدّدُ في لَيْلِ كَنْعانَ..: (" راحوا الحبايبْ"....
وَما وَدّعوا ! دُلّني، أيّ حَرْبٍ تَردُّ: (عناتْ *) !

أنا اليوْمَ تابوتُ مُعْجِزَتي قدْ
حَمَلْتُ الذين يُقِلّونَ عَهْدي عَلى كَتِفَيَّ
و نمتُ على حِجْرِ آلِهَتي.. أَتَماثَلُ بَعْدَ الرَّدى لِلْحيَاةْ !

****

لنا جَنّتانِ..
و بينهما حَجَرُ الخُلْدِ: " حلمُ الشَّهيدِ " :
تَراءَتْ لِعَيْنَيْهِ رِحْلَةُ مِعْراجِهِ فارْتَأى للبُروجِ انْضِمامَهْ .....

رأى - ما يَرى القائِمونَ
مِنَ النّوْمِ في سِدْرَةِ الْحُلْمِ، أَقْصَرَ دَرْبٍ إلى الْقُدْسِ: دَرْبَ السَّماءْ
و سِرْبَ مَلائِكَةٍ تَرْفَعُ الرّوحَ فوق..

أَرائِك مِنْ لُؤلُؤٍ... و تُبَلّلُهُا بِرَحيقِ العُلا ... (لِتَشمَّ الشهيد

وَ رائِحَةَ اللهِ في بَيْتِهِ)....فَسَلامٌ

عَلى عِطْرِ بارِئِهِ وَسَلامَهْ

****

" يَخافُ الغُزاةُ مِنَ الْأُحْجِياتْ "

وَ مِنْ عَجْزِهِم عَنْ إِجابَةِ أَسْئِلَةِ الخلْدِ في كُتُبِ العِلْمِ وَ الْفَلْسَفَهْ:

لِماذا يُضَحّي صَبِيٌّ وَسيمٌ

بِأمٍّ تُفَكّرُ في ثوْبِ عُرْسٍ

لِأَجْلِ حَبيبَتِهِ - بِنْتِ قرْيَتِهِمْ في السّماءِ -

و غُرْفَةِ نَوْمٍ

تَليقُ بِأَحْلامِ مَنْ لا يَنامُ سِوى حينَ يَقْرَأُ في قَبْرِهِ مُصْحَفَهْ !

"يخافُ الغزاةُ مِنِ الْأُحْجِياتْ"

فَكَيْفَ يُحِبُّ الشّهيدُ الْحَياةَ وَكَيْفَ يَموتُ لِأَجْلِ الحياةْ ؟

وَكَيف تكونُ لَهُ أَرْضُهُ - رغْمَ خَطْفِ السَّماءِ- أَمانَةَ مَنْ في السَّماءْ؟

يَخافُ الْغُزاةُ مِنَ الشُّهَداءْ !!!)

يومَ دَفنوني يا أبتِ

مروة السيوري

أقبل يا أبت
لم ينزعوا الرصاص -بعد-
من جسدي
انزعه على مهل
وخضب كفي أمي
بدمي

أقبل يا أبت
ألق صدرك على صدري
ازفر واشتم وابك
وبملء صوتك اصرخ:
أعدتك يا ولدي
حوطني بيديك
ودّعني ما شئت
أهل التراب، ودفئني
وقبّلها،

لا تنس:

مرر كفك على شفتي

خذ قبلة الغياب الأخير

غمسها

وأطعم منها صحبي

قرب أنفاسك مني

واملأ صدرك لما تبقى من العمر

برائحتي

أقبل يا أبت

وافتح بابك للشمس

بعدي

كما فيّ وقبلي

وقبّلها،

لا تنس:

اصرخ ما شئت

وابك ما شئت

وتألم ما استطعت

لا تكابر

سآتيك حاملا جذعك

كما جذعي

امنحني الفرصة أن أكون أبا

-ما كنته يوما

-وأن تكون أنت ولدي.

الوصايا العَشْرة لشهيدٍ

مَقْدِسيٍّ[1]

إياد شماسنة

قالَ الشَّهيدُ لأُمِّهِ؛
حينَ ارْتَقى:
لا تَحْزَني؛ فَأَنا
أُحِبُّكِ باسِمَةْ.
لا يَسْتَحِقُّ الدَّمْعُ عَيْنَكِ
مِثْلَما لا يَسْتَحِقُّ الخائِنونَ
العاصِمَةْ.
وأَنَا البِلادُ المُشْتَهاةُ لِروحِها
وَأَنَا أُريدُكِ
أَنْ تَظَلّي سالِمةْ.
أَرْجوكِ أَنْ تَتَماسَكي؛ كَيْ
أعْتَلي فَرَحي
فَدونَكِ لا أَنالُ نَسائِمَهْ.
في كُلِّ يَوْمٍ جَهِّزي لِيْ قَهْوَتي،

[1] من وصية الشهيد المقدسي بهاء محمد عليان.

ثُمَّ اسْكُبيها
للوُرودِ النّائِمَةْ.
وَلسَوْفَ تُخْبِرُكِ الوُرودُ بِأَنَّني
مازِلْتُ حَيَّاً
في الحَياةِ الدّائِمَةْ.
رُوحي تُرَفْرِفُ
بَيْنَكُمْ في مَجْدِها،
وعَلى الوُرودِ
عُروشُنا المُتَعاظِمَةْ

***

قالَ الشَّهيدُ،
وَقدْ تَعَلَّقَ بِالسَّما، بِوَصِيَّةٍ
جُمِعَتْ لنا في قائِمَةْ.
لا تَجْعَلوا الرَّقَمَ الجَليدَ هَوِيَّتي،
أَوْ تَصْنَعوا
مِنْ مُقْلَتي تَمائِمَهْ.
لا تَجْعَلوا طِفْلي
يَتيما آخَرا، وَدَعوه
يَقْتَطِفُ النُّجومَ الحالِمَةْ
بَيْتي إذا هَدَموهُ ؛

فَهْوَ حِجارَةٌ، والبَيْتُ في قَلْبي

أَقَمْتُ قَوائِمَهْ.

لا تَسْرِقوا فَرَحي؛

لِتَلْقوا رَبَّكُمْ في كُلِّ حِزْبٍ؛

كَيْ تَذُمّوا ظالِمَهْ.

سَأعودُ أَسْأَلُكُمْ، وأَسْأَلُ عُهْرَكُمْ،

كَيْفَ السِّباقُ

على الدِّماءِ العارِمَةْ؟؟

إلى بهاء عليان...

خالد جمعة

عيونك لما يصيدو الضو
ويرعو الليل زي العِشِبْ
يدفى الثَّلِج، والمُرّ يحلوّ
ويصير الموت كأنو كِزِبْ
مالك يا صاحبي ساكت؟
هو الموت بيسكِّتْ؟
والا بس بتنكِّتْ؟
وبعد شوي بشوفك هان
بتفاصل صاحب الدكّان
على لعبة لبنت الجار
على شوية ندى وأسرار
وروحَك تعلى وتعلّي
وبتقولّي
خُفِتْ على ورداتِ السور
ما حد يسقيهن الميّه
ونادتني بيبان الدور
حنّت لدقة إيديّه

وبيني وبينك

أنا كمان حنيت

زي ما هي حنّت

أصلو في بيناتنا حساب

صحيح ما انكتب في كتاب

بس بيضل بيناتنا

بنعرفو من أمياتنا

مع الحليب والضحكة

مع أول خطوة

مع الدبكة

لا يا صاحبي

طلع الموت ما بيسكّتْ

بس الخوف لنتخبى

في كيس نسيان

وكل الصار يتعبى

في قِصّةْ كان...

خاتمة النصوص

اللحظات الاخيرة

نص

محمد عليان

(ولدت يوم رحل البهاء)

اللحظات الاخيرة

1

كان فجر يوم 31.08.2016 فجرا عاديا، فقد اشرقت فيه الشمس، وغردت فيه الطيور قبل ان يصحو البشر ويحدثوا الضجيج، وفاح عطر من نبتة الياسمين اليتيمة التي تجاور نافذة البيت، وعلا صوت المؤذن ليبشر الناس بصلاة الفجر..

ولكن بالنسبة لنا، عائلة البهاء لم يكن هذا الفجر عاديا تماما، انما كان فجر يوم سيكون حافلا بالاحداث التي ستحدث فرقا في حياتنا التي لم تكن في اشهرها الاخيرة هادئة، وكان هذا الفجر قد انهى ليلة لم نعرف فيها طعما للنوم، كل كوابيس الدنيا حضرت في تلك الليلة، كل الاحتمالات السيئة كانت تدور في رأسينا انا وام البهاء، هل نستلم البهاء؟ هل سنوافق على استلامه ام سنعيده الى الثلاجة اللعينة؟ كيف نستقبل البهاء ؟ كم من المشاركين سيتواجد معنا ؟ هل تمضي الليلة القادمة على خير ؟ ماذا سيحدث في اللحظات الاخيرة ؟..

- ابو البهاء

همست ام البهاء وهي تلتصق بي على الكنبة بعد ان انهت صلاة الفجر وافرطت في الدعاء والتسبيح

- نعم

قلت وانا احاول الهروب من اسئلتها الكثيرة المتتابعة

- ماذا لو..

قالت ولاحظت ارتجاف شفتيها

- ادعو الله ان يلهمني اتخاذ القرار المناسب

قلت وانا ادرك ما تريد قوله، هي تخشى، حد الهلوسة، بان لا يتم التسليم اليوم، وان تقوم الشرطة الاسرائيلية بالتراجع في اللحظات الاخيرة، او ان تضع شرطا جديدا ارفضه انا و " افسخ " اتفاق التسليم الذي وقعه خليل، شقيق البهاء، مع الشرطة الاسرائيلية. اصارحكم القول، انني انا ايضا كنت اخشى من هذه اللحظة، انتابني القلق والخوف، كنت ادعو في سري ان تتيسر الامور، وان ينتهي مسلسل العذاب اليومي، وان نعيش لحظة الفرح الاستثنائية والغريبة والتي تبدو غير انسانية بالمطلق، وهي لحظة عناق الابن ودفنه في تراب القدس. كنت اريد انا ايضا ان ارتاح ولو لفترة قصيرة من معركة ضارية سارفع في نهايتها اشارة النصر اذا انتهت بدفن البهاء.

على صوت ام البهاء الخافت وهي تتلو الدعاء تلو الدعاء، استعدت تفاصيل هذه المعركة، ساعة ساعة، بل لحظة لحظة، وتساءلت دون ان اجد الاجابة، من اين لنا، نحن آباء وامهات الشهداء هذه القوة، كيف قاتلنا كجيش ونحن لسنا جيشا، كيف عملنا كمؤسسة دولة ونحن لسنا دولة، كيف تجمعنا دون تخطيط، كيف كنا القادة والجنود والناطقين

والمتحدثين، دون ان نكون كذلك ؟ لا اعرف كيف، ولكني اعرف اننا تعبنا من هذه المعركة، مثل اي جيش يخوض حربا غير متكافئة، مثل اي دولة انهكتها الضربات المتلاحقة، مثل اية مجموعة بلا ظهر ولانصير ولا امكانيات ولا قدرات ولا موجهين ولا مستشارين، تعبنا ورجونا الله ان ينهي هذه المعركة بالنصر وان كان النصر شديد التواضع.

اصغيت قليلا الى ادعية ام البهاء، شعرت بالسكينة، كأن نسمة هواء عليل تنعش قلبي، اخذت نفسا عميقا، امسكت بيدها ورحت اكرر ما تتلوه من ادعية، وبين الفينة والاخرى، كنت اشعر بحشرجة صوتي وتسارع دقات قلبي، تأثرا بعمق الدعاء، ونذير خوف من اللحظات القادمة، وكانت سبابتي ترتفع تارة الى السماء، وتارة تمسح دمعات تتدحرج بانسياب على خدينا نحن الاثنين..

يا الهي كن معينا لنا، اهدنا الى القرار السليم، وسهل علينا امورنا في هذا اليوم العصيب.. هي تتلو وانا اعيد.. هي تتلو وانا اعيد،

- ام البهاء

همست وانا اشد على كفها التي استقرت بوداعة في كفي

- نعم

قالت وهي تتوقف عن الدعاء كما لو انها تنتظر مني قولا يريح البال ويطمئن القلب

- طوال الوقت ونحن اقوياء، وسنبقى كذلك، بيننا وبينهم لعبة عض الاصابع، من يقول " أخ " اولا يهزم. لن نهزم سننصر وندفن البهاء

عادت تتلو الدعاء، ادارت بوجهها عني، وكادت ان تسحب كفها لولا ان كفي كانت اشد، لم تقل لي شيئا، لكني قرأت في عينيها وحرقة دمعتها التي تدحرجت واستقرت على طرف سبابتي، بانها تهزأ مني وتقول " قلنا ال "اخ " ملايين المرات، قلنا أخ بعدد ذرات الرمال في الدنيا، وجزئيات النجوم في السماء، وقطرات المطر منذ خلق البسيطة "

حاولت تدارك الامر، اقتربت منها اكثر، احسست بخوفها،

- اليوم سندفن البهاء، اعدك، وانت دائما تثقين بي، سندفنه، ساتركك معه وقتا طويلا وحدكما، احكي، تحسسي وجهه، قبليه، ابكي في حضرته، دعي الدموع تغسل وجهه، تأملي جماله، احضنيه، افعلي ما شئت، هي لحظات لك لن ادع احدا يفسدها ..

تعانقنا

بشدة تعانقنا

بكينا

بحرقة بكينا.

2

كان يوم 31.08.2016 منذ ساعاته الاولى حافلا بالترقب والقلق واللا يقين والخوف من المجهول، امضيته انا وام البهاء، قبالة الساعة، نرقب عقاربها البطيئة حتى السكون، ساعات تفصلنا عن رؤية البهاء، لا نعرف، ولا يمكننا ان نعرف ما يخبئه لنا القدر في هذه الساعات. واصلت ام بهاء الدعاء وانا واصلت التفكير بالاحتمالات الممكنة والمستحيلة، وخيل لي ان كل الاحتمالات واردة، وانه من الممكن ان يحدث ما لا يتخيله انسان

- ابو البهاء

تمتمت ام البهاء وكف يدها ما زالت مستقرة في كفي

- نعم

- لا تقل عني اني فقدت عقلي، ارجوك، ولكن الا يمكن ان يكون بهاء على قيد الحياة ؟

- يا الله

قلت وانا ابتلع غصة جارحة، كادت تخنقني، تململت بغير ارتياح، رفعت يدي نحو السماء

- يا الله، ارحمنا برحمتك

- لا تؤاخذني، يا ابا البهاء، لكني... لكني لا اصدق انه ميت

خرجت كلماتها بطيئة، جافة، بل ميتة دون حياة، كأنها تخرج عنوة، باكراه دون رغبة.. هي (وانا ايضا لكني لم اعترف لها) تتشبث بالامل

والرجاء ان يكون حيا، وان يكون الاحتلال قد اخفاه او اختطفه، قد يكون جريحا في مكان ما، قد يكون اسيرا في احد السجون، قد يكون في قبو تحت الارض.. والا لماذا لم تسمح الشرطة طوال الوقت بمعاينة جثمانه، لماذا لم تنشر الشرطة اي تقرير عنه او عن ملابسات استشهاده، اسئلة كثيرة تبدأ ب " لماذا " وان بدأت تطل برأسها فانها لا تنتهي ابدا

- ولكن الشرطة وقعت الاتفاق وسيدفن البهاء الليلة.. انه..انه ميت يا ام البهاء.

قلت وانا اشد على كفيها الاثنتين .. كفان باردتان تمنحان الدفء لكفين باردتين.. من يمنح الدفء للاخر تساءلت ذات مرة، من يسند كتفه على الاخر، تساءلت ايضا. كلانا تقتلنا الاسئلة، تقتلنا ال " لماذا " و ال " لو " و "متى ".. " لو " ان الساعة تمضي.. " لو ان الوقت " يجري ".. " لو " ان ساعة اللقاء تأزف.. " لو " اني ارتاح قليلا.. " لو انها ترتاح قليلا .. لو ان الكاتب يضع الخاتمة لهذا النص المؤلم الطويل الذي يبدو انه بلا نهاية.. اقرأتم نصا بلا نهاية ؟؟ .. البداية ألم .. المتن ألم .. والخاتمة بعيدة.. بعيدة ولم تظهر في الافق بعد..

- كفاك باردتان

قلت لها وانا اشد عليهما واستشعر بالبرودة في احد صباحات نهاية آب الحارقة.. وأضفت دون رغبة بالكلام..

- سيكون اليوم شاقا

- وبطيئا..

قالت وهي تنظر الى صورة البهاء الوحيدة المعلقة هناك

- خليل

قلت وصمت فجأة كما لو اني اتراجع عن الكلام

- ما له

تساءلت بقلق واضطراب..تأهبت مثل لبؤة تنوي الانقضاض، سحبت كفيها من كفي، رأيت في عينيها الف الف سؤال

- الم تقل انه انهى كل الاجراءات ؟

- قلت.. نعم قلت.. ولكن هناك امور لم تنته بعد.. مثل قائمة المشاركين واعداد القبر.. والترتيبات مع قائد الشرطة.. ودفع الكفالة المالية..و....

- وهل... وهل.. يعني.. هل يمكن.. يعني ان يظهر خلاف.. ويلغي خليل الاتفاق ؟

كما لوكانت طفلا يتدرب على نطق الاحرف.. تحاول جاهدة ان ترتب جملة مفيدة واحدة.. فقد عقد الخوف لسانها.. وزاد القلق من اضطرابها.. وكفاها.. كفاها كانتا باردتين..

- كفاك باردتان

اعدت عليها السؤال

نظرت الى صورة البهاء الوحيدة المعلقة هناك

- ليستا ببرودة البهاء.. هو هناك.. في الصقيع.. ربما يرتجف من الصقيع.. اتدري ؟! اقسم اني اسمع صوت اصطكاك اسنانه.. واحس برجفة جسمه.. وانصت الى تأوهاته.. البرد يا ابا البهاء.. البرد.. هو الاقسى من كل عذابات الدنيا..

اعذروني ايها الاصدقاء.. لا اقوى على كتابة ما احسست فيه في تلك اللحظة.. في ذلك اليوم الطويل.. في ذلك الانتظار القاسي.. الانتظار السرابي.. الذي ما ان تعتقد انك وصلت نهايته حتى يبتعد عنك اكثر..

- ابو البهاء

ستقول ام البهاء بعد سنة من هذا اليوم

- نعم يا ام البهاء

ساقول وكفاي تحضنان كفيها الدافئتين

- الرأفة بالقراء.. لقد ارهقتهم.. استنزفت مشاعرهم.. دع تفاصيل ذلك اليوم للمستقبل.. واكتب لهم عن لحظة التسليم ذاتها..

سأصغي لام البهاء..واستجيب اليها

يا الهي.. ما ادفأ كفيها

بعد سنة من ذوبان الصقيع عن جسد البهاء

3

كنا وحدنا هناك.. خمسة عشر شخصا لا غير

القدس محاصرة بالعسكر وافراد الشرطة ورجال المخابرات.. السيارات العسكرية والمصفحات اغلقت مداخل وشوارع المدينة..كانت القدس تتظاهر انها نائمة لكنها كانت تسهر بانتظار دفن البهاء.. حتى هذه اللحظة وقبل انتصاف الليل بدقائق، لم اكن قد اعلنت عن النية بتسليم جثمان البهاء.. لكن القدس لم تكن تنتظر اعلاني، فقد علمت ونشرت الخبر، وامتلأت ازقتها وحواريها وشوارعها التي لم يشملها الحصار بالنساء والاطفال والشيوخ والشباب والاعلاميين الذين اعتلوا اسطح المنازل والفنادق المحيطة..

لم نكن وحدنا هناك.. كانت القدس معنا.. كان العالم يتابع عبر البث المباشر من اجهزة الهاتف لحظات وصول البهاء الى ارض القدس.. تقترب الساعة من منتصف الليل، عائلة البهاء (خمسة عشر شخصا فقط) محاصرة قبالة مبنى البريد المركزي.. شارع صلاح الدين يعج بالعسكر وافراد المخابرات.. والحواجز الحديدية تمنع الوصول الى هذا الشارع.. امسكت بيد ام البهاء.. اعذروني بدءا من هذه اللحظة سارتدي القناع.. قناع القوة.. سأخرج قلبي من صدري واضعه في جيب معطفي.. سأجفف دموعي وامنعها من الانهمار.. ليس وقت البكاء الان.. ليس وقت الحزن الان.. ربما نتصنع الابتسامة وربما تصبح الابتسامة ضحكة.. ربما نفرح

ونطلق الزغاريد .. ربما نهتف ونصرخ وتردد القدس من بعدنا الهتاف .. كي لا يحس العسكر انه هزمنا.. و.. ارتديت القناع.. ساستقبل البهاء دون قلب، دون دموع، دون ارتباك، هي اللحظات الاخيرة في المعركة سأنتصر وننتصر..

انا وام البهاء في المقدمة.. شعرت بان كفها بدأت تميل الى الدفء.. شامخة كانت، لا ادري، لكني لم احس بارتجاف قلبها، ربما نزعته هي ايضا واودعته في جيبها.. لم انبس لها بكلمة، كنت واثقا انها لا تحتاج الى كلمات اسناد، فهي ستلتقي البهاء بالقوة التي كان يعهدها فيها..

- تعال.. واحد واحد

قال ضابط الشرطة وهو يحمل في يده ورقة بالاسماء المسموح لها بالدخول.

تقدمت انا وام البهاء

انا وام البهاء.. بدون قلبين.. بدون دموع

- قلت لكم واحد واحد

قال بصوت اشبه بالعواء

اقتربت منه، حد الالتصاق، رفعت سبابتي في وجهه، في حركة استعراضية امام الجميع

- اسمع.. لا تصرخ.. افحص الهويات فقط واياك ان ترفع صوتك على احد

اصارحكم اني كنت بحاجة الى هذه الحركة، كي اثبت امامهم قوتي وقدرتي على ادارة الموقف..

القيت اليه بهويتي وتصريح الدخول لام البهاء

- تصريح ؟؟؟؟

قال مستغربا

- ممنوع تصريح

شعرت بارتجاف اصابع ام البهاء.. همست دون ان التفت اليها

- لا تقلقي.. دعي الامر لي

اقتربت منه اكثر..

- اما انا وهي.. واما سنعود

- تعود ؟؟

قال مستغربا وسط ضحكة استهزاء

- نعم سنعود ؟

التفت الى الوراء.. طلب من احدهم فحص التصريح وقرأ من القائمة الاسم الثالث

اعطيت الاشارة لافراد العائلة بعدم التقدم

- تعال.. هات هويتك

- لن يدخل احد دون ام البهاء

قلت بصوت مرتفع، بقوة وبحزم

التفت ثانية الى الوراء، تداول الامر مع مجموعة من رجال المخابرات، فحصوا، دققوا، تهامسوا، تناوبوا النظر الينا.. وامروا الضابط بالسماح لنا بالدخول

(بعد يومين سيصدر امر من وزير الداخلية بسحب تصريح لم الشمل لام البهاء)

أأكون قد حققت الانتصار الاول ؟ ربما !!.. نظرت الى سور القدس قبالتي، ورغم العتمة استطعت ان اراه يبتسم..

دخلت، دخلت ام البهاء، ومن بعدنا افراد العائلة المسجلين بالقائمة، خمسة عشر شخصا فقط، ولم تنجح محاولات المحامي اضافة اشخاص كانوا قد حضروا على امل السماح لهم بالدخول.. قلت لكم اني انتزعت قلبي من صدري، لذلك لن اكتب لكم عن القهر الذي يحس به قريب وصديق وعم وخال البهاء وهم يفقدون الفرصة الاخيرة لتوديع البهاء.. ولن اصف لكم صعوبة اختيار خمسة عشر شخصا فقط من بين عشرات الاشخاص المقربين جدا للبهاء.. ولن اكتب لكم عن المعركة الضارية التي خاضها خليل شقيق البهاء من اجل اضافة اكبر عدد من المشاركين.. يا الهي.. ماذا يضيرهم لو شارك في توديع البهاء الالاف من الناس ؟ لكن يضيرنا نحن ويؤلمنا ويوجعنا حرمان اقرب الناس الى البهاء من توديعه..

ما زلت ممسكا بيد ام البهاء وبجانبي زوج ابنتي وابني الثالث علي، كان يحمل حقيبة اسعاف، وهو الوحيد الذي سيرافقني عند استلام البهاء من سيارة نقل الموتى، اثق به وبقوته وصلابته وحسن تصرفه.

- افتح شنطة

قالت مجندة انهكها السهر، تقف في الحاجز الثاني الذي لا يبعد عن الاول بضعة امتار.. حاجز لفحص الهويات، وحاجز للتفتيش، ولا ندري قد يكون هناك حواجز اخرى قبل ان نصل الى مقبرة المجاهدين التي تقع على بعد مائة متر من هنا..

يفتح علي الشنطة.. تعبث المجندة بمحتوياتها، لفافة، اقراص مسكنات، مقص

- مقص ؟؟ ممنوع.. ممنوع

صرخت كما لو كانت قد اكتشفت امرا خطيرا واستدعت مجندا آخر

- نعم مقص وماذا يعني ؟

قلت وانا ادرك اهمية المقص الذي سأستخدمه في قص اكياس النايلون عن جثمان البهاء

تجمع الجنود، تداولوا، تهامسوا، وحاولوا تفتيش الاخرين الى حين اتخاذ قرار بالمقص.. رفضت انا.. اما مع المقص او نعود.. يا الهي ! نعود دون استلام البهاء من اجل مقص ؟؟

محاولة اخرى مصطنعة ومفتعلة لاثبات القوة والارادة..

- حسنا.. مع المقص

قال ضابط الشرطة.. واعاد الينا المقص لندخل جميعا بشعور الانتصار الثاني..

لو كان قلبي معي.. كنت ساسمع خفقاته وانا وام البهاء وبجانبنا علي نسير بين الجنود والعسكر، نتقدم بخطوات سريعه نحو البهاء.. لو كان قلبي معي ربما كان قد اخترق صدري وقفز مسرعا ليسبقني الى حيث اللقاء..

- كوني قوية..

همست لام البهاء وانا اتصنع ابتسامة

- ساكون كما يريدني البهاء

همست دون ارتجاف.. احسست بحرارة اصابع يدها المستقرة بوداعة في كف يدي..

سرت، ومعي ام البهاء، وعلي وحسام وخليل وانغام واعمام وخالات وابناء عمومة البهاء وصديقه سلام.. في شارع صلاح الدين المحاصر بالعسكر والاليات العسكرية، ربما كان الجميع مثلي، ينظرون الى السماء، يبتهلون، ويدعون الله بشفاعة الشهداء والسماء والنجوم، ان يمنحنا القوة لمواجهة هذا الموقف وان نهزم كل هذا الجيش بالابتسامة والضحكة والفرح.. كنا، في سرنا، ونحن وسط هذه القوة التي هزمت جيوش دول عربية، ندعو الله ان يمنحنا الصبر والسلوان وان نكون بحجم البهاء..

اقتربنا نحو باب المقبرة المغلق، تجمعنا في دائرة ضيقة، التصقت اجسادنا ببعضها البعض، بوجوه جامدة كانوا، مثل صخر جلمود، لا حياة فيها، كأنهم جميعا انتزعوا قلوبهم، وحدنا هناك وسط جيش لا يرحم، والقدس غير نائمة، هي ايضا تترقب هذه اللحظات..

اشرت للجميع بان يسمعوني، ساقول شيئا بالعربية وبصوت عال ودون اي ارتجاف او ارتباك، ليسمعه العسكر:

- بعد قليل سياتي البهاء

قلت وقد احسست بقلبي الذي اودعته جيب معطفي بان البهاء على مقربة منا، ينتظر كما ننتظر نحن

- عندما يأتي تدخلون انتم الى داخل المقبرة وتغلقون الباب

اصدرت الامر كما لو كنت في معركة اصدر تعليماتي للجنود

- سأبقى انا وعلي فقط

تبادل الجميع النظرات واحسوا بان امرا سيحدث

- ام البهاء ستكون بعيدة هناك

اشرت الى مكان مكشوف.. وانا نفسي لا اعرف لماذا، ربما للتمكن من رؤيته دون حاجز

- عندما تاتي السيارة، ساقوم انا وعلي بمعاينة الجثمان وهو في السيارة

وحدنا ؟ انا وعلي ؟ هل استطيع ان اعاينه واكشف عن جسده دون توتر واضطراب؟ لماذا اقحم نفسي في هكذا قيادة؟ لماذا لا اعود الى انسانيتي واتصرف كأب يستقبل جثمان ابنه بعد اشهر من الاحتجاز ؟

- انا فقط.. انا فقط ساقرر الاستلام او اعادة الجثمان من حيث اتى.

يا رب.. نظر الي قائد الشرطة نظرة تعجب واستغراب وقلق.. هل ستعيد الجثمان ؟ قرات في عينيه هذا السؤال.. تركته في حيرته..

- لا ريد اي احتجاج

اصدرت الامر الاخير، ابتسم جميع افراد العائلة، جميعهم دون استثناء .. هم الجنود الاوفياء في معركتنا.. معركتنا التي لم تنته بعد..

4

أنا وحدي هناك..يفصلني عن عائلة البهاء بوابة حديدية ورصيف شارع بعرض مترين وعدد كبير من الجنود اصطفوا على الرصيف، والى جانبي علي؛ ابني الثالث، والمحامي ببذلته السوداء ورجال المخابرات الذين التفوا حولي متأهبين لاي طارئ.. بعد قليل سالتقي البهاء.. لا ادري كيف التقيه.. ماذا سأفعل.. ماذا سأهمس في اذنه..هل سأنهار عند رؤيته لاول مرة منذ عشرة اشهر وايام ؟ هل سأنفجر بالبكاء والقي بنفسي على جسده ؟ هل سيكون في قالب من ثلج ولا استطيع حتى تقبيل وجنتيه المجمدتين ؟ كيف سيكون وجهه ؟ هل سيكون مشوها بفعل الاحتجاز والجليد وربما التنكيل والتمثيل لحظة اطلاق النار عليه ؟هل اتعرف عليه ؟ ام ابحث عن علامات فارقة تجعلني على يقين من ان الجثمان للبهاء ؟ عن اي علامات فارقة سأبحث لو كان التشويه حد اختفاء المعالم ؟ ربما

حاجبه الايسر منتوف الشعر، ربما فكه الاسفل الذي يميل الى الطول قليلا ليضفي على وجهه جمالا لم يعد كما كان ؟ يا الهي.. لو اني سألت ام البهاء عن علامات فارقة أخرى !! هي الام التي تحفظ تفاصيل ابنها منذ الوفاة وحتى الممات، كانت لكنته علامة فارقه لكنه لن يتكلم، كانت ضحكته علامة فارقة لكنه لن يضحك، كانت طريقته في عناقي علامة فارقة لكنه لن ينهض من نومه ليعانقني..

استرقت نظرة الى ام البهاء.. كانت تجلس وراء البوابة الحديدية ترقبني بقلق.. تبادلنا ابتسامة خفيفة، حقيقية كانت تكفي لمنحي ما احتاجه من قوة قبل لحظات من اللقاء مع بهاء..

بعد لحظات سأكون انا والبهاء وجها لوجه.. وحدنا.. سنتجاهل قليلا مئات الجنود والعسكر المحيطين بنا بطوق محكم.. سنتجاهل العدد القليل من افراد العائلة الذي يقفون بصمت خلف البوابة الحديدية على بعد امتار.. ساتجاهل علي الذي يقف بجانبي يحاول اسنادي، ساتجاهل المحامي يرقبني متأهبا للتدخل في اية لحظة.. ساتجاهل جموع الصحفيين الذين يعتلون اسطح المنازل والفنادق والمحلات التجارية يوثقون لحظات اللقاء.. ساتجاهل القدس التي سهرت كما لو كانت تحرسنا من اي سوء.. لكني لن اتجاهل ام البهاء ولا السماء ولا النجوم التي تسطع في سماء القدس بوهج لم تعرفه المدينة.. و.. وسيكون معي الله.. الله الذي سيمنحني القوة والصلابة ويسندني ويجعل مني نداً لكل هذا القهر وهذا الظلم.. الله لا ينسى عباده، بعد ايام سأكون في اقرب بقعة الى السماء،

في مكة المكرمة، هناك سأرفع كفي الى السماء.. سأشكر الله على ما انعمه علي من قوة لاحتمال هذا الوجع..

هي لحظات والتقي البهاء.. اعرف انه في مكان قريب جدا من هنا.. ربما على بعد امتار في المنعطف القريب .. قالت ام البهاء قبل قليل انها تشم رائحته.. وانا ايضا شممت رائحته، هو قريب من هنا قريب جدا..

- هل انت مستعد ؟

قال لي الضابط كما لو كان اكتشف اضطرابي

- مستعد لماذا ؟

قلت وقد احكمت شد القناع على وجهي ورسمت ابتسامة باهته لعائلة البهاء هناك، متجاهلا الضابط

- لاستلام الجثمان

قال باضطراب ملحوظ، كدت اقول له انك انت غير مستعد وليس انا، انت الخائف وليس انا، انت القلق وليس انا

- وهل ترى غير ذلك ؟ انا مستعد منذ وقت.. وانت.. مستعد ؟

كنت اسخر منه، وربما لاحظ ذلك، ادار بوجهه عني، تفحص المكان من كافة الاتجاهات.. تحدث عبر جهاز الاتصال.. كانت حركة جسمه توحي بان الجثمان قريب.. قريب..

يا الهي..

صمت غريب موحش في المدينة

في شارع صلاح الدين

عند باب المقبرة

صمت مطبق

لا تسمع الا وجيب قلوب افراد العائلة

وزفير الهواء الذي يخرج من الصدر بتسارع

واضطراب قلبي في جيبي

وأنات صدري الخاوي بعد ان انتزعت منه قلبي

وتمتمة ام البهاء وهي تتلو الدعاء تلو الدعاء

اضواء السيارة القادمة ابهرت عيني.. كانت الاضواء قوية على نحو لافت.. تقترب ببطء شديد.. تسير دون استعجال.. وحدها تتبختر على الشارع الفارغ الا من الجنود.. كأني بالسائق استهوى وجود الجثمان في سيارته الطويلة المصفحة وقرر تعذيبنا باطالة الانتظار..

يا رب.. امنحني القوة.. لم اشعر بخفقان قلبي الذي اودعته في جيبي.. لكني شعرت بخواء.. بفراغ في صدري.. كأنه جوف عميق.. رجوت الله في سري ان يثبت اقدامي.. كم دعوتك يا الله.. في هذه اللحظات التي وجدت نفسي فيها فجأة.. دون اعداد واستعداد.. اشكرك يا الله على هذا الاختبار القاسي.. ارجوك يا الله ان تمسك بيدي لاجتاز الاختبار بنجاح..

استرقت نظرة اخرى الى ام البهاء.. كانت بدون قلب، بدون دموع، وجه شاحب، ابتسامة فاترة، لكنها كافية بالنسبة لي..

اقتربت السيارة، ركنها السائق في عرض الشارع.. ورويدا.. رويدا ادار ظهرها الى بوابة المقبرة، حتى ارتطمت عجلاتها الخلفية برصيف الشارع.. قبالتي بالضبط.. اصبحت على بعد خطوة من البهاء.. يفصلني عنه الباب الخلفي لسيارة نقل الموتى..

يطفىء السائق محرك السيارة.. صمت مطبق في المكان، في المدينة.. اسمع وجيب قلوب العائلة، انفاس ام البهاء المتلاحقة.. امتنعت من النظر اليهم.. ولم استرق النظر الى ام البهاء.. خشيت التأثر من ردة افعالهم.. ربما يصرخون، ربما يهتفون، ربما يبكون وهم ابناء البشر.. امسكت بيد علي.. ادرك اني ادعوه للثبات.. وجها لوجه امام البهاء.. لم يفتح باب السيارة الخلفي بعد.. تحسست جيبي حيث قلبي، كان مستقرا هناك بوداعة دون حراك.

- هيا فليخرج اربعة اشخاص فقط.. فقط اربعة

قال الضابط الغبي الذي لم يحفظ الدرس.. انا لا احب الاغبياء.. واكره التعامل معهم

- لحظة..

قلت بحزم وبقوة القائد واضفت

- لماذا تريد الاربعة

تساءلت بثبات وبعبرية واضحة

- كي ينقلوا الجثمان

قال متصنعا الثقة

- الجثمان ؟ ومن قال لك انني ساستلمه ؟

افراد العائلة ينصتون باصغاء شديد لي.. والمحامي الى جانب رجل المخابرات يبتسم لي كأنه يقول لي " استمر ".. رجال المخابرات يتململون ويتصنعون الحركة..

- الا تريد استلامه ؟

تساءل الضابط بغباء

- لم اقرر بعد، اريد معاينته ثم اقرر بعد ذلك..

ازدادت حركات التململ والارتباك، مشاورات ومداولات قصيرة بين المحامي ورجال المخابرات.. المحامي يعرفني جيدا طوال المعركة القانونية، لم يخذلني، ولن يخذلني.. ناولني السائق بثقة بضع اوراق وطلب مني التوقيع على الاستلام.

- اعد اوراقك الى حيث كانت

قلت دون ارتباك

- الا تريد الاستلام ؟

تساءل باستغراب ودهشة

- ليس قبل ان اعاين الجثمان وهو في السيارة

قلت دون النظر اليه.. وانا ارقب رد فعل رجال المخابرات وضباط الشرطة وافراد العائلة واتجنب النظر الى ام البهاء..

- حسنا

قال الضابط

- افتح له الباب ولكن بسرعة

كأنه اصدر امرا لا يقبل النقاش

- بسرعة ؟ سأتفحصه بالوقت الذي اشاء

قلت بحزم وثقة وانا اشعر باني سيد الموقف

- ليس لدينا وقت

قال متوسلا

- اذا لم يكن لديك وقت أعد الجثمان الى حيث كان ، انا لدي كل الوقت، انتظرت أشهراً طويلة ولا يضيرني انتظار دقائق.

قلت وسط ذهول ودهشة وترقب العسكر

- حسنا خذ وقتك

منحني الله ضحكة عالية، قذفتها في وجهه لتسمع القدس صداها.. نظرت اليه من علٍ.. قزما كان، يكاد لا يرى بالعين المجردة، وكان جنوده من ورق.. لم ألتفت اليهم فانا في حضرة البهاء

5

سائق السيارة يقترب من الباب الخلفي.. اتسمر مكاني دون حراك.. اتحسس قلبي في جيبي.. اشد عليه بقوة.. يكاد يفضح امري.. ويكشف سري.. وفي اليد الثانية احكمت شد القناع على وجهي.. ورسمت رغما عني ابتسامة باهتة، لا تعبر عن شيء.. فقط ابتسامة، كي يراها العسكر، ويعتقدون اني ابتسم في لحظة اللقاء.. في لحظة ساكون فيها وجها لوجه مع الحقيقة.. حقيقة الموت .. طالما قلت ان الموت هو الحقيقة الاسطع في العالم التي لا تحتمل الانكار.. طالما قلت انه بدون رؤية البهاء وتوديعه يبقى الامل بانه على قيد الحياة.. لم يفتح الباب بعد.. لا اعرف ماذا في الداخل، قد يكون جثمان البهاء، قد يكون جثمان شهيد آخر.. ايعقل ذلك ؟ أيحدث ذلك ؟ ربما !! حدث في ايام سالفة.. وربما يحدث اليوم.. ربما امعانا في تعذيب عائلة البهاء.. الثواني كانت طويلة.. كما لو كانت دهرا.. يا الهي ايستغرق فتح باب السيارة كل هذا الوقت.. التصق علي بجسدي البارد.. احسست برجفة جسمه..احسست برجفة جسمي.. كما لو ان برودة الصقيع في داخل السيارة تتسرب بين الفتحات الضيقة وتنتقل الى جسدينا، جسدي وجسد علي، جسدينا المتهالكين، نظرت الى السماء.. كانت النجوم تتناثر هناك على نحو بديع، لوحة فنية باهرة الجمال، اصغيت السمع.. كأن نداء يتناهى من الداخل.. انا وحدي سمعته.. رائحة عطرة تفوح من هناك.. انا وحدي اشتمّها.. هو البهاء ايها الناس.. كدت التفت نحو عائلة البهاء.. واركز نظرتي على ام البهاء.. واصرخ

بصوت تسمعه النجوم والاقمار والشموس والقدس واسوارها وحواريها وناسها.. هو البهاء هناك يا ام البهاء، صوته، رائحته، نوره الذي ابهر عيني.. لم اصرخ.. لم ارتجف.. بلعت ريقي.. وعيناي تتابعان يد السائق وهو يفتح الباب على مصراعيه..

انا الان لست انا.. البهاء لا يمت لي بصلة.. الانسانية انتزعته مني عنوة.. لم الق بنفسي عليه كما يفعل كل أب بشرا كان ام غير ذلك.. لم اصرخ كما يشاء الله في عباده عندما يفقد العبد ولده، لم أتهاوَ واسقط مغشيا علي مثلما يفعل الناس.. الناس ؟ وهل انا من الناس ؟ تحسست قلبي في جيبي وانا امام كيس اسود طويل، بطول البهاء، اعلاه في عمق السيارة في الداخل واسفله يكاد يرتطم بحافة الباب.. أهو البهاء ؟ اكان البهاء طويل القامة الى هذا الحد.. لا اتذكر.. قلت في ذات منشور اعرفوا اولادكم قبل الرحيل.. بعد الرحيل نجلس الساعات الطويلة ونحن نتذكر التفاصيل، ويغيب عنا الكثير.. أنهتم بهم فقط بعد الرحيل ؟ لو اني كنت اعرف انه بهذا الطول.. لو اني اعرف انه بهذه الضخامة.. لو اني... انا وعلي والكيس الاسود .. وفي داخله جثمان طويل القامة.. مغلق باحكام من جهته العليا، هناك في عمق السيارة، يحاول سائق السيارة سحب الكيس الى الخارج دون مراعاة لكرامة البهاء.. امسكت بيده وابعدتها عن الكيس بادب واحترام..

- لا تلمس شيئا

تراجع الى الوراء قليلا، ربما كان ينتظر هو والعسكر.. لحظة الانهيار.. لحظة البكاء، لحظة تمزيق الملابس والنواح.. استرقت نظرة الى ام البهاء، شحنتني بما احتاجه من قوة.. امسكت بالكيس من اسفله.. شعرت بقدميه.. هو البهاء.. تيار كهربائي انتقل من هناك الى جسمي.. اخترق كل مسامات الكيس محكم الاغلاق.. صرت انا وهو واحدا.. انا البهاء والبهاء انا.. استجمعت قوتي بعد هذا التيار الغريب الذي سرى في جسمي، لم اعد انا انا اصبحت انا البهاء.. والبهاء لا يرتجف.. الكيس الاسود يقترب مني شيئًا فشيئا ببطء وعناية وانا على الباب، كأني وعلي لا نريده ان يتألم.. لا نريده ان يخدش من ارضية السيارة الخشنة.. أيتألم الميت، أيخدش الميت ؟ نعم.. يتألم ويتوجع ويشعر بالبرد ويتأوه وهو في قلب امه وصدرها وعقلها ويسكن روحها.. كنت اعرف ان اية حركة تؤلم الجثمان ستؤلم ام البهاء.. التي تراقب الكيس بعينين متجمدتين وقلب توقف عن الخفقان .. لو اني بجانبها الان.. لو اني امسك بيدها والقي برأسي على كتفها ونستدعي معا البكاء.. البهاء او " انا "، يقترب من الحافة.. بدقة جراح ماهر قمت وعلي بتسوية الكيس الثقيل امامنا، وددت لو احمله بين ذراعي، لن يكون ثقيلا عندما احمله، سيكون اخف من الريشة، سأجوب فيه شوارع القدس وحواريها، سيصطف الناس على الارصفة، وبيد كل واحد من الناس كتاب، سيتذكر كل واحد من الناس يوم ان تجمعوا في سلسلة طويلة واحاطوا باسوار القدس من كل جانب، سيتذكر كل واحد من الناس يوم ان كان البهاء قائدا يمتطي صهوة الكتاب.. سيصمت كل

واحد من الناس امام موكبي وانا احمل بين ذراعي البهاء.. سأقول " احمل انا جثمان البهاء واحملوا انتم الكتاب "..

تحركت قليلا من مكاني ووقفت امام رأس الكيس.. تحسست رأسه، هو رأس البهاء.. لم اره بعد، ولكني شعرت بالتيار ذاته.. يصهرني.. يصهره.. لنصبح ذات الشخص.. ربما يريد هو ان ينصهر بي.. وانا اريد ان انصهر به.. من ينصهر بالاخر ؟ يا الهي ما اقسى هذا السؤال، ما اصعبه.. كم من الاسئلة تعذبنا، كم من الاسئلة لا نفكر بها الا وقت الوجع كأننا نمعن في تعذيب انفسنا.. اقترب علي مني اخرج من جيبه المقص.. وددت لو اصرخ رعبا من قساوة المشهد.. علي يحمل بين اصابعه المرتجفة المقص وينوي قص الكيس من الاعلى، وماذا لو ارتجفت اصابعه اكثر، وخدش وجه البهاء ؟؟ ماذا ؟؟ ماذا لو..

- لا ترتجف

قلت لعلي، ربما ظن اني آمره بالثبات امام العسكر كي لا يكتشفوا اي ضعف، لكني أمرته بالثبات كي لا يخدش وجه البهاء.. وجهي، وقلب ام البهاء.

6

بعناية جراح ماهر يحمل المبضع.. يقص علي الكيس الاسود من الاعلى، فتحة صغيرة تتشكل.. أمسك انا طرفي فتحة الكيس.. يدرك علي ما اريد دون تعليمات.. هو لا يقص الكيس بتسرع.. بل بتأنٍّ ورويدا رويدا.. يحرص على ان لا يخدش الوجه.. اشد طرفي الكيس قليلا ليتسع الخرق.. الكيس سميك.. يصعب فتحه باليد.. توقعت ذلك فجلبت معي المقص.. كيس اسود ثان.. يقص علي منه قليلا، بحجم الفتحة الاولى.... اصابعي توسع الخرق قليلا.... يا الهي.. كيس ثالث يظهر، سميك ابيض.. يقص علي منه قليلا.. بحجم الفتحة الثانية..يرتجف علي.. العيون ترقب.. القلوب تنبض بتسارع.. ربما يتساءلون لماذا هذا البطء.. العائلة بانتظار البهاء، والعسكر بانتظار انتهاء المهمة.. وانا وعلي كأن الوقت لا يعنينا.. ببطء نعمل، مبضع علي واطراف اصابعي.. الكيس الثالث.. الكيس الرابع، يا الله.. وحدنا انا وعلي مع البهاء.. ربما الكيس الاخير ونرى وجهه.. العسكر يرقبوننا، العائلة تنتظرنا، ام البهاء لا تكف عن الدعاء، العالم كله يتابعنا، كنت احس ان اصدقائي الاعلاميين، الذين لا ينامون، يتابعونني من اسطح المنازل والفنادق، القدس كلها كانت تنتظر الكشف عن وجه البهاء.. السماء حتى السماء، سمعت وجيب قلبها، وانا وعلي، دون ارتجاف، وبشغف للبكاء والصراخ وحتى الانهيار، نفتح الكيس تلو الاخر، ببطء، كمشهد فيلم بالعرض البطيء، حتى اني، وبعد سنة، اتخيلكم تتساءلون، لماذا هذا البطء، لماذا لا تكشف عن وجهه، وترى التفاصيل

بعد عشرة اشهر من الغياب.. سأقول لكم سرا: لم اكن اعرف ان البهاء جميل الى هذا الحد، لم يبسق لي ان دققت النظر بسواد شعره الكثيف، لم يسبق لي ان انتبهت الى سعة عينيه العسليتين، ولا كثافة حاجبه المنتوف قليلا من الجهة اليسرى، ولا شفتيه المرسومتين بدقة فنان مبدع، لم التفت يوما الى شعرات شاربه الناعمة ولحيته التي يتفنن كل يوم في تهذيبها.. ابتسامته الساحرة، الملهمة، كانت عادية قبل ذلك الصباح الذي غادرنا فيه، ضحكته المميزة العالية،ما زلنا انا وام البهاء نصغي الى صداها في انحاء البيت، في الصبح والمساء، كانت قبل الرحيل تسبب لنا الازعاج والاحتجاج، فصارت اللحن الذي اطوف البيت في اليوم الف الف مرة لاسمع صداه.. هذا الجمال.. هذا الخلق البهي، هذا ابداع الله، لم اره الا بعد الرحيل، عندما اغرقني اصدقاء البهاء بالصور التي كان يلتقطها بعين مبدعة.. قالوا لي ان ابنك جميل كما لو اني لا اعرف.. لو كنت اعرف، لما ترددت لحظة في ان اجعله يجلس امامي واخط بقلمي اجمل النصوص غزلا في البهاء.. لم اكن اعرف ولم اكتب عنه اي نص، وحين بدأت في الكتابة لم يكن هو قادرا على قراءتها، ليته يستطيع، كان سيفرح..

الكيس الخامس، يتريث علي في قصه، ربما ليتيح لي المجال لاستنشاق كمية من الهواء، تنعش صدري المقبوض، وتعيد الحياة الى دمي المتجمد في العروق.. يا لقوتك يا علي، يا لصلابتك يا علي، يا لثبات اصابعك وهي تمسك المقص بثبات، يا لابتسامتك التي اغاظت العسكر واوجعتهم، لا

بأس يا علي افتح الكيس الخامس، عله يكون الاخير، ساكون بقوتي التي تليق بالبهاء، وبصلابتي التي يستدعيها الموقف، لن ترعبني بشاعة التشويهات في وجه البهاء، فهو جميل في كل التفاصيل، افتح يا علي، لا وقت الان لاظهار الخوف، لا وقت للانهيار، افتح يا علي عن وجه البهاء، ودعني أنحنِ في حضرته وابتسم لجماله.. افتح يا علي، ودعني أقلْ بعد سنة، اننا نحب الحياة، ونبحث عن الجمال، في تشويه جسم احدثته رصاصة غير طائشه، وفي ركام بيت هدمته جرافة، وفي دموع طفله تبكي والدها الاسير او الشهيد، وفي حقيبة طفل تناثرت محتوياتها على رصيف الحلم.. افتح يا علي.. بهاء جميل وسيبقى كذلك..

يقص علي الكيس الخامس الابيض السميك.. باطراف اصابعي امسك بطرفي الفتحة، يتسع الخرق على نحو يكفي لظهور الوجه.. للحظة.. لحظة واحدة فقط، صدقوني لحظة واحدة، لا تزيد عن واحد بالمائة من الثانية، شعرت بالغشاوة، صخرة ثقيلة جثمت على صدري، قلبي في جيبي اعلن التمرد، تململ، خفق بتسارع غريب، للحظة واحدة فقط، تسربت من الكيس رائحة نفاثة صادمة، لحظة واحدة ثم انقشعت الرائحة ومعها الغشاوة، وعدت احسن الرؤية واشتم رائحة زكية لا اجد لها وصفا، لا تسألوني كيف حدث ذلك، لا ادري، ربما لم يحدث لكني اردت حدوثه فيسر الله لي ذلك.. فتحة الكيس تتسع قليلا.. اكشف ببطء وبروية عن وجه البهاء، ما اجمله !! ما ابهاه.. تريث يا علي، دعني مع البهاء وحدنا.. للحظة فقط للحظة.. نسيت اين انا.. نسيت اني محاط بالعسكر

المدججين باحدث ادوات القتل والقمع.. نسيت اني على بعد امتار من ام البهاء.. عائلة البهاء.. نسيت ان عشرات الاعلاميين يرقبونني بآلات التصوير... نسيت القدس بناسها وسورها وهي تسهر معي وتتوجع وتتأوه مع ام البهاء.. نسيت كل شيء، وغبت معه في لحظات عشق انحنت لها نجوم السماء.. لا تسألوني المزيد.. لحظات العشق يفسدها الكلام.. انا وبهائي كنا وحدنا للحظة فقط.. ابتسمت.. ابتسم.. ونحن نلتقي لاول مرة منذ عشرة اشهر.. والعسكر يحيطون بنا.. ونحن وحدنا نمارس العشق.. قلبانا ينبضان بالحب.. قلوبهم تنبض بالحقد ..

- اسرع.. هيا

قال الضابط وقد شعر بطول الوقت.. التفت اليه.. رميته بابتسامة قاتلة.. وعدت الى وجه البهاء.. لاتفحص ما احدثته زنزانة الثلاجة وصقيعها في هذا الجمال الذي ابدعه الله في خلقه.. عيناه غارقتان كانهما اقتلعتا من مكانهما.. تجويف العينين عميق على نحو لافت.. وجه ضامر صغير لا يتناسب مع ضخامة الجسم يميل الى السواد الشديد، شفتان متيبستان مفتوحتان على اتساعهما لتكشفا عن اسنان بارزة على نحو غريب.. فك سفلي دقيق بفعل التجميد، شارب اسود ناعم تشوبه ذرات الصقيع البيضاء.. لم يعد الوجه وجه البهاء.. يا الهي، اي تشويه يحدثه الاحتجاز في الثلاجة على هذا الجمال، الصقيع يأكل العينين والاذنين والانف والفكين ويتلف الاسنان ويقلص الانف ويقتل الجلد.. تشويه الى حد اخفاء المعالم.. ارعبتني رؤية العينين.. لا ادري، ربما سرقتا في ذلك المسلخ

الذي يسمى ابو كبير.. ارعبني سواد بشرة الوجه.. لا ادري، ربما سرقوا خلاياه الجلدية.. لا ادري، ولا يمكنني ان ادري، لست طبيبا ولا مختصا بعلم التشريح، لكني اب، يصعب عليه التعرف على ابنه.. هو البهاء.. خاطبته وخاطبني، ابتسم لي وابتسمت له، لكن لا يحمل ذلك الوجه الذي، كما قلت، ابدعه الله في خلقه، ولا يحمل تلك الملامح التي تغنيتم انتم بها في منشوراتكم.. ارعبتني فكرة ان هذا الوجه ليس للبهاء، وانني تخيلت انه البهاء، لانني هكذا اريد.. بحثت في تفاصيل اخرى، وقلبي ينبض بتسارع.. احتاج الى هواء.. اشعر بانقباض شديد في صدري.. يا الهي.. اعطني القوة.. ودقائق وينتهي الامر.. لا احتاج منك الا قوة لبضع دقائق، انا هنا الاب قبل كل شيء، قبل ان اكون القائد، قبل ان اكون الجندي في اشرف معركة عرفها التاريخ، انا اقف امام ابني، جثة هامدة، بعد رحلة طويلة من التعب والسهر والبكاء والقتال والخطابات والظهور على الشاشات والسفر ومخاطبة العالم.. بعد رحلة من الالم والوجع وارتداء لقناع تلو القناع .. انا اقف الان امام وجه البهاء بلا معالم.. قد لا يكون هذا وجه البهاء.. بربكم هل ثمة ما هو اقسى من ان لا تعرف معالم ابنك ؟.. ليس بفعل قنبلة جعلت من جسده اشلاء ولا بفعل رصاصة هشمت وجهه، بل بفعل احتجاز في ثلاجة ضيقة بدرجة حرارة دون الاربعين لاشهر طويلة، طويلة جدا.. طويلة جدا.. بطول عمر كامل..

- هذا ليس البهاء

التفتّ الى الضابط، وقلت بصوت قوي، مرتفع ليسمعه كل العسكر.. وانا ادري انه البهاء، فقد عرفته من حاجبه المنتوف.

7

- مش بهاء ؟؟

قال الضابط مبديا الدهشة والعجب.. فالاوراق تشير انه البهاء.. هل يمكن حدوث مثل هذا الخطأ ؟ تبادل الكلمات مع زميله وسط صمت مطبق.. نظرت صوب ام البهاء.. كانت ترفع كفيها الى السماء، وتتلو الدعاء تلو الدعاء.. وعلى مقربة منها كانت زوجة اخي تحمل بين يديها اكليلا من الورد.. لم اره من قبل، ربما اخفته عني، لم اكن ارغب أن يزين البهاء بالورد او الياسمين.. فهو جميل ولا يحتاج الى تزيين.. لا يحتاج الورد الى الورد.. وكيف تضع الياسمين على الياسمن.. هو البهاء الذي عرفته ولكني ادعيت عكس ذلك، لاكسب المزيد من الوقت وأتيقن من ذوبان الجليد عن جسمه.. للجليد حكاية مع الشهداء المحتجزين.. يضعونهم في ثلاجة باردة، ضيقة، الجثامين فيها مكدسة فوق بعضها البعض.. في اوضاع مختلفة.. قد تكون الساق في وضع الانثناء، قد يكون الرأس جانبا، قد يكون الجسم انحنى وبقي كذلك.. يتجمد الجثمان في درجة حرارة دون الاربعين.. يتجمد الدم ولا ينزف من الجرح.. تتجمد الشفتان والاسنان والوجه والرقبة والجسم كله ليتكون عليه قالب سميك من الجليد، يستقر الجثمان في داخل القالب بالوضعية التي كان فيها عند ادخاله

عنوة في الثلاجة الضيقة .. ارعبني ان يكون جثمان البهاء في قالب من ثلج، الكيس بارد من اللمسة الاولى، حتى ارضية السيارة لم تستطع ان تخفي وجعها من لسعات البرد.. لم يكن هناك جليد على وجهه.. كان باردا جدا مع بقايا اثار الجليد، ذرات بيضاء علقت على شاربه.. وبعضها استقر في جوف عينيه.. ولم تختف عن اسنانه التي اخفت بقايا الجليد بياضها الطبيعي.. مسحت بيدي وجنتيه.. تسربت البرودة الى اطراف اصابعي.. وسرعان ما انتقلت الى رأسي فصدري فاطرافي.. برد.. اشعر ببرد شديد.. ارتجفت دون ان يلحظني العسكر.. حاولت ان افتعل ابتسامة باهتة.. لم استطع.. شفتاي تجمدتا..

- افتح يا علي

فتح علي فتحة اخرى.. خمسة اكياس سميكة.. بيضاء وسوداء.. رائحة نفاثة خرجت كأنها تنطلق من أسرها.. ذابت مع نسيم منتصف الليل.. علق بعضها مع الهواء الذي استنشقه.. لم تزعجني الرائحة.. هكذا اردت.. يكفي انها كانت مع البهاء طوال فترة الاحتجاز التي بقي فيها البهاء داخل خمسة اكياس من البلاستيك المقوى دون اي منفذ للهواء النقي.. افتح يا علي.. لم يرتجف علي وهو يقص الاكياس بعناية وبطء.. كما لو كان رجلا آليا دون احساس.. كان البهاء صديقه المقرب.. صديق وشقيق زوجته انغام وولديه الكرم والكريم.. افتح يا علي.. أكشف عن عنق البهاء.. يميل الى السواد، هذا العنق الطويل الذي كان يتباهى دائما بجماله.. بارد.. بارد.. لكن لا يوجد اي اثر للجليد.. الحمد الله.. يبدو انهم عرفوا ان

بقاء الجليد على جسد البهاء يعني عدم موافقتي على استلامه.. لا تستغربوا هذا القرار.. بقاء الجثمان في حالة تجمد، يعني عدم امكانية الدفن لان الجثمان في تصلب ويكون داخل قالب من ثلج.. من الاسفل والاعلى والجانبين، ربما تكون وضعية الجثمان غير مستوية.. ربما تلتصق شفتاك وانت تقبل وجنتي ابنك الشهيد، بطبقة الجليد العازلة.. ربما لا تستطيع ان تلمسه.. ربما لا تستطيع الانتظار الى ان يذوب الثلج عنه وتدفنه كما تشاء، لان الوقت الممنوح لك ضيق، اضيق من خرم ابره، لحظة واحدة من الزمن، تستلم فيها الجثمان وتتوجه به الى القبر وتضعه، محكوما بوضعيته داخل الجليد، وتغلق القبر ليذوب عنه الجليد بفعل دفء التراب.. يا الهي.. كيف يمكن احتمال ذلك.. افتح يا علي .. وسع الفتحة اكثر.. انا والثلج اعداء.. لا احب الثلج.. اشهر طويلة وانا وام البهاء نخشى من فتح الثلاجة.. الثلاجة تذكرنا بالبهاء.. واذا اضطررنا إلى فتحها كنا نبدأ حفلة بكاء.. نتذكر البهاء كلما رأينا دجاجة مجمدة، قطعة لحم يلفها الجليد، خضار علقت بها بقايا ثلج .. افتح يا علي.. تتسع الفتحة اكثر.. اسفل الرقبة بقليل.. اعلى الصدر من الجهة اليسرى.. ثقب في الجسم.. ينزف دما كان قد تجمد وسال بعد ان تسرب الى الجسم بعض الدفء.. ضغطت باصبعي مكان الرصاصة، نزف الجرح اكثر.. وددت لو اتذوق دمه، ان العق ما علق بطرف اصبعي من دم.. لم افعل ذلك، الكل يراقبني، العسكر، الضابط، العائلة، ام البهاء، الاعلاميين، السماء، الله، نعم الله كان من عرشه يرعاني.. لم العق اصبعي وتركت الدم ينساب..

افتح يا علي.. تتسع الفتحة الى الصدر حيث القلب.. ثقب آخر.. يبدو ان القاتل صوب رصاصته هناك.. نحو القلب مباشرة.. ربما لم يكن بحاجة الى رصاصة اخرى، رصاصتا قناص كافيتان لان يتوقف القلب عن النبض.. ضغطت على الجرح، لأستفز الدم وامكنه من السيلان.. بعد تجمد دام اشهر.. لم اكن اشعر بشيء وانا ارى الدم ينزف ويسيل بهدوء وانسياب داخل الكيس.. بصراحة راودتني رغبة غريبة.. ان يسيل الدم بكثافة.. كنهر جارف.. ان يخترق الاكياس الخمسة ويتسرب عبر مسامات ارضية السيارة، وينهمر كجدول رائق على الشارع، يسيل في شارع صلاح الدين، ويشكل اخدودا في شارع سليمان ليصل الى باب العمود حيث التقى البهاء بسلسلة القراءة طلبا للحياة.. غريب هذا التخيل.. لكن لا غرابة فيما يراودك من افكار في لحظة لا تتمناها لأحد.. تحسست صدر البهاء في محيط القلب.. الجسم بارد لكنه غير متجمد.. آثار الصقيع الذائب ظاهرة.. الحمد الله.. من المؤكد انهم اخرجوه من الثلاجة قبل فترة معينة.. افتح يا علي.. ساتفحص باقي الجسم.. لن اوافق على استلامه قبل ان أتأكد من باقي الجسم..

- هيا.. استعجل

قال الضابط بغضب.. نظرت نحو العائلة.. نحو ام البهاء.. كان صدري يرتفع وينخفض بتسارع، كأني اقوم بعمل شاق، عيونهم شاخصة، وجوههم واجمة، يقفون بلا حراك بانتظار قراري.. هل يلتقون مع البهاء ام انه سيعود الى الثلاجة.. انا الذي سأقرر.. الكل ينتظر وانا وعلي نتفحص

ببطء.. افتح يا علي.. تتسع الفتحة.. البطن طري.. بارد دون بقايا ثلج، ابيض على نحو غريب.. الجلد ؟ هل سرقوا الجلد ؟ لا ادري، وكيف ادري، ربما البياض كان بفعل التجميد، انا لست طبيبا، غير مختص بعلم التشريح، ارعبتني فكرة الدفن دون تشريح.. ستدفن مع البهاء كل جريمة محتملة.. افتح يا علي.. نصل الى اسفل البطن، لم تنتزع عنه ملابسه الداخلية، تحسست المكان، بارد دون ثلج، افتح يا علي.. اطرافه السفلى، بيضاء باردة، يا الهي.. كان لون جلد البهاء برونزيا، يميل الى " السمار "، كنت اداعبه واقول " ابو سمرة ".. " السمار " تحول الى بياض ناصع، بلون الثلج كان، في قدمه اليسرى حذاء رياضي، والقدم اليمنى " جربان " ابيض.. فتح علي الاكياس كاملة.. من الاعلى الى الاسفل.. اقلبه يا علي.. اردت ان اعرف اذا كان هناك جرح طويل ام لا، قلبه علي بمساعدتي انا المنهك حد الانهيار، الظهر بدون جروح، أثار خدوش في اعلى الصدر وقريب من الرقبة، ربما بفعل جر الجثمان على الاسفلت في ذلك اليوم.. الجلد يميل الى " السمار ".. تعبت.. تعبت.. يا الهي لو اني ابكي، يا الهي لو اني اصرخ.. كانت صرختي ستدوي في انحاء وسماء القدس.. البهاء امامي.. عاريا كان، الا من قطعة داخلية وحذاء رياضي في قدمه اليسرى و" وجربان ابيض " في قدمه اليمنى.. البهاء امامي.. عاريا كان، بهيا كان، جميلا كان، اي جمال ابهى من جمال البهاء.. نظر الي علي.. نظر نحوي الضابط، العائلة في وجوم قاتل.. السماء تترقب.. ملأت صدري بكمية كبيرة من الهواء، بلعت ريقي المتجمد، ارغمت غصة على التراجع، رسمت،بريشة

طفل هاو، ابتسامة باهتة، صفراء، لا حياة فيها، استعرضت بنظرة سريعة، جسم البهاء، امامي كان، عاريا كان، ينتظر دفء الارض، يا الهي اشعر بالبرد، بالقشعريرة، احاول اخفاء رجفة مباغتة، اقول وانا لا اسمع صوتي، لكنهم سمعوه، هم العسكر، والعائلة وام البهاء وربما البهاء

- اوافق..
- هتفت العائلة، ابتسم العسكر، صفقت القدس

ابتسم البهاء..

تململ البهاء..

احسست بذلك او هكذا بدا لي..

بعد دقائق سينعم بدفء القدس

" ايها الشعب

بهاء الان في دفء القدس "

كتبت على صفحتي، وانا وام البهاء نرقب عن بعد دفن البهاء وسط التكبيرات..

لم نشارك في الدفن فنحن لا نحب النهايات.

****

الفهرست

فاتحة النصوص 7

إبراهيم جوهر

الوصايا العشر 9

الشهيد بهاء عليان

قراءات في الوصية 11

كيف ثقّف بهاء بوصيته(1) 13

ابراهيم جوهر

كيف ثقّف (بهاء) بوصيته؟(2) 16

ابراهيم جوهر

كيف ثقّف (بهاء) بوصيته؟(3) 19

ابراهيم جوهر

أوصي الذين عبروا الى الجنة بعدم تذكرنا 23

الكاتب: نبيل الجولاني /القدس

لا تجعلوا مني رقما 27

حمد خليل عليان

البهي بهاء نجمة في سماء القدس 39

يونس العموري

قراءة سريعة في وصايا الشهيد بهاء عليان.....44

رشيد شاهين

أوصيكم بأمي 48

زياد خداش

معلم الجيل الشهيد بهاء عليان 51

سمير سعد الدين

مِنْ وحيِ الوصيةُ /نصوص دامعة من وحي الوصية.....53

محمد عليان

عن البهاء في السلسلة القارئة والمبادرات الشبابية..113

عن بهاء في بهائه الدائم (1) 115

محمود شقير

في حضْرةِ البهاء 117

آية ابراهيم جوهر

بهاء عليان.. رحيل الجسد وحياة الفكرة 119

يامن نوباني

بهاء عليان.. الشهيد المثقف 122

يامن نوباني

في ثقافة الحياة.....125

الى بهاء في بهائه الدائم(2) 127

محمود شقير

إلى بهاء عليان في ثلجه الطويل.....132

خالد جمعة

إلى محمد عليان، والد الشهيد بهاء عليان.....134

خالد جمعة

ذاك البهاء 136

سما حسن

حرب الصورة بين أبطال البغاء وأبطال السماء.....139

لينا أبو بكر

إلى الباقي فينا ومعنا.....145

ابراهيم جوهر

هل كانت نبوءة؟.....159

عصمت منصور

إليك يا بهاء.....161

غادة محسن

هو الوداع الأخير.....165

حلوة زحايكة

مع والد بهاء.. عن بهاء.....167

يونس الرجوب

شِتاؤُكَ هذا العام!.....174

مروة السيوري

(أزرار القميص والموت الأنيق).....179

باسل الطميزي

لوين رايحين؟.....182

نسب أديب حسين

لم يعد الكلام يغطي الوجع.....191

نجاة نصر

انتصار ثقافة الحياة 195

جميل السلحوت

ثقافة الموت.. ثقافة الحياة 197

جميل السلحوت

ما هو آخر سطر قرأته يا بهاء؟ 202

رأفت صوايفة

حبوب سنبلة تموت ستملأ الوادي سنابل 207

ماجد الدجاني

عن الشهيد ووالد الشهيد.....209

اسامة العيسة

وقالوا فيه : الشعر والغناء 213

وصية بهاء.....215

ماجد الدجاني

إلى البهاء 217

لينا أبو بكر

يومَ دَفنوني يا أبتِ.....222

مروة السيوري

الوصايا العَشْرة لشهيدٍ مَقْدِسيٍّ.....225

إياد شماسنة

إلى بهاء عليان... 228

خالد جمعة

خاتمة النصوص/ **اللحظات الاخيرة** 231

محمد عليان

"رأيته ذات مساء في خيمة العزاء بأحد شهداء جبل المكبر، كان واجما يدير حوارا داخليا مع نفسه، ولم أكن أعرف ما الذي كان يفكر فيه. كنت أعرف أنه شاب خلوق محب للثقافة ذو نزعة وطنية راسخة؛ وكانت له أنشطة ثقافية واجتماعية متعددة، كان من أبرزها تلك السلسلة القارئة التي امتدت حول سور القدس، وشارك فيها آلاف الطالبات والطلاب وأعداد غير قليلة من الكاتبات والكتاب والصحافيين والإعلاميين ومن أبناء المدينة. انتظمت تلك السلسلة بمبادرة منه ومن شقيقه حسام ومن الإعلامية المربية آية ابراهيم جوهر، ومن شباب المبادرة وشاباتها في جبل المكبر."

محمود شقير